سلوة العارفين
وأُنس المشتاقين

لأبي خلف الطبريّ
(توفّي نحو ٤٧٠هـ/١٠٧٧م)

شرح صورة الغلاف:

أكريليك مُستخدَم على قُماش.

لوحة تجريديّة تحاور روحانيّة الطبيعة وجماليّات تفاصيل الخلق.

بريشة الرسّام التشكيليّ محمود الداود الذي نوجّه إليه الشكر على هذه اللوحة.

تحقيق وتقديم
جرهارد بورينغ و**بلال الأرفه لي**

سلوة العارفين
وأُنس المشتاقين

لأبي خلف الطبريّ
(توفّي نحو ٤٧٠هـ/١٠٧٧م)

نقل المقدّمة إلى العربيّة
هاني رمضان

دار المشرق

سَلوة العارفين وأُنس المُشتاقين لأبي خلف الطبريّ (توفّي نحو ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)
طبعة أولى ٢٠٢١

دار المشرق

الأشرفيّة - بيروت، لبنان
هاتف: ٢٠٢٤٢٣-١-٩٦١+
info@darelmachreq.com
www.darelmachreq.com

التدقيق اللغويّ، وتصميم الغلاف، والإخراج: **فريق دار المشرق**

ISBN: 978-2-7214-8180-1

التوزيع:

مكتبة إسطفان
موزّعون - ش.م.ل

فرن الشبّاك - بيروت، لبنان
هاتف: ٢٨٣٣٣٣-١-٩٦١+
info@librairiestephan.com
www.librairiestephan.com

شكر

لسيباستيان غونتر (Sebastian Günther) ووداد القاضي فضل كبير في صدور النشرة العلميّة لـ *كتاب سلوة العارفين وأُنس المشتاقين* عام ٢٠١٣، وإدراجه ضمن «سلسلة التاريخ والحضارة الإسلاميّة» (Islamic History and Civilization) الصادرة عن دار بريل للنشر. ونحن ممتنّان لنيينكي بريانين مولينار (Nienke Brienen-Moolenaar) وكاثي فان فليت (Kathy van Vliet)، القيّمتين على السلسلة في بريل، لجميلهما وكفاءتهما، ولرينيه أوتّو (Renee Otto) وتانيا زيدان لتخطّيهما العقبات التي واجهها إنتاج هذا العمل. وبعد سنوات من صدور النشرة الأولى للكتاب ارتأينا تقديمه للقارئ العربيّ بعد أن نقل هاني رمضان مقدّمة التحقيق إلى العربيّة، وقد تحمّست دار المشرق لهذه المبادرة. نشكر القيّمين في دار المشرق على جهودهم ودعمهم لنا خلال مسيرتنا العلميّة. كما نودّ أن نشكر مكتبة دار الكتب المصريّة في القاهرة، مصر لتزويدنا بنسخة عن المخطوط ولسماحها بإعادة إنتاجه. وقد استفاد المؤلّفان من زمالتيهما في معهد الدراسات المتقدّمة، برينستون (Institute for Advanced Study, Princeton)، وحسن ضيافة الدارسين العاملين فيه. ولا يفوتنا أن نشكر الفنّان التشكيليّ محمود الداود لإهدائنا اللوحة الجميلة التي تزيّن غلاف الكتاب. وقد دعم كرسيّ الشيخ زايد للدراسات العربيّة والإسلاميّة في الجامعة الأميركيّة في بيروت إعادة نشر هذا العمل، فللكرسيّ وللجامعة جزيل الشكر.

جرهارد بورينغ (نيو هيفن)
بلال الأرفه لي (بيروت)
نيسان، ٢٠٢١

مقدّمة: الكاتب وأعماله

١. مصادر حياة أبي خلف الطبريّ وأعماله

مؤلّف كتاب *سلوة العارفين وأنس المشتاقين*، هو أبو خلف محمّد بن عبد الملك بن خلف الشافعيّ السلميّ الطبريّ (ت. حوالي ٤٧٠/ ١٠٧٧)، كان فقيهًا شافعيًّا ومحبًّا لحياة التصوّف. عاش في نيسابور، العاصمة الإقليميّة لخراسان ومركزها الثقافيّ. أصابت المدينةَ في حياته مجاعةٌ شديدة عام ٤٠١/ ١٠١١، وخضعت للحكم السلجوقيّ بعد أن احتلّها طغرل بك عام ٤٢٨/ ١٠٣٧. وعلى الرغم من أنّ الأتراك الغزّ طردوا السلاجقة منها عام ٥٤٨/١١٥٣، ظلّت نيسابور مقرًّا للتعليم الإسلاميّ إلى أن ضربها زلزال عام ٦٠٥/١٢٠٨، ودمَّرها غزو المغول عام ٦١٨/ ١٢٢١ بشكل كامل.[١]

ارتبط اسم أبي خلف الطبريّ في المصادر العربيّة بثلاث نِسَب هي: الشافعيّ، والطبريّ، والسلميّ. فأمّا الأولى فتشير إلى انتمائه إلى مدرسة الفقه الشافعيّ، وأمّا الثانية فتشير إلى مسقط رأسه، أي منطقة طبرستان الواقعة على الساحل الجنوبيّ لبحر قزوين في إيران. وأمّا النسبة الثالثة فقد تُقرأ بالسَّلْميّ أو السُّلَمِيّ، على اعتبار أنّ الكلمتين تُكتبان وتُطبعان بالرسم نفسه في العربيّة. وتشير نسبة «السَّلْميّ» إلى الانحدار من عائلة فارسيّة، بينما تشير نسبة «السُّلَميّ» إلى الانتساب إلى قبيلة بني سُلَيم العربيّة من حيث الولادةُ لأبٍ منها أو الموالاةُ. أمّا دليل كون السَّلميّ (بفتح السين) نسبةَ أبي خلف الطبريّ الصحيحة فموجود في *كتاب الأنساب* للسمعانيّ (ت. ٥٦٢/ ١١٦٦)،

١ E. Honigmann and C. E. Bosworth, «Nīshāpūr,» in *EI*^{2}, 8, 62-4; R. W. Bulliet, *The Patricians of Nishapur*, Cambridge, Mass. 1972.

إذ إنّه تعمّد إدراج اسم أبي خلف تحت هذه النسبة، مفرّقًا في كتابه بين لفظَي السَّلْميّ والسُّلَميّ.[٢] غير أنّ الأسنويّ (ت. ٧٧٢/ ١٣٧٠)، وفي مخالفة لقول السمعانيّ، يصرّ في كتابه *طبقات الشافعيّة* على أنّ النسبة يجب أن تُقرأ بالسُّلَميّ.[٣] وينتمي المؤلِّفان، أي السمعانيّ والأسنويّ، إلى المدرسة الشافعيّة. غير أنّه يبدو أنّ مصادر السمعانيّ أكثر مصداقيّة؛ فقد تقدّم على الأسنويّ بقرنين، وتمكّن من تسجيل دليل مباشر يرجّح كون السَّلمي نسبة أبي خلف الطبريّ الصحيحة؛[٤] فقد أخبر السمعانيَّ رجلٌ يُسمّى أبا عبدالله محمّد بن الحسين الأزديّ نقلًا عن أستاذه أبي الفتح الموفَّق بن عبد الكريم الهَرَويّ، الذي كان تلميذ أبي خلف الطبريّ، أنّ السَّلْميّ هي نسبته الصحيحة. وممّا يدعم رأي السمعانيّ هذا أنّ ابن قاضي شهبة (ت. ١٤٤٨/٨٥١) يصف قراءةَ الأسنويّ لنسبة أبي خلف الطبريّ بأنّها «وهم»، ويشدّد على أنّ النسبة الصحيحة هي السَّلميّ، مشيرًا إلى نسَب أجداد أبي خلف الطبريّ.[٥]

لسوء الحظّ، قلَّ ما وصلنا عن حياة أبي خلف الطبريّ ومسيرته العلميّة في المصادر العربيّة. وفي *كتاب الأنساب* للسمعانيّ أُولى المعلومات المتعلّقة بأبي خلف الطبريّ، وهي وجيزة،[٦] وقد نقلها ابن الأثير (ت. ٦٣٠/ ١٢٣٣) في كتابه *اللباب في تهذيب الأنساب*.[٧] ومن المصادر الأخرى التي تحوي معلومات مهمّة عنه– وإن كانت ضئيلةً كتلك الموجودة في كتاب السمعانيّ – كتابُ *طبقات الفقهاء الشافعيّة* لابن

[٢] أبو سعد عبد الكريم بن أبي بكر محمّد السمعانيّ (ولد ٥٠٦/ ١١١٣، توفّي ٥٦٢/١١٦٦)، *كتاب الأنساب*، تحقيق عبدالله عمر البارودي، ٥ أجزاء، بيروت ١٤٠٨/١٩٨٨، ٢٧٨/٣.

[٣] جمال الدين أبو محمّد عبد الرحيم بن الحسن الأمويّ القرشيّ الأسنويّ (وُلد ٧٠٤/ ١٣٠٥، توفّي ٧٧٢/ ١٣٧٠)، *طبقات الشافعيّة*، تحقيق عبد الله الجبوري، جزءان، بغداد ١٣٩٠–١٣٩١/ ١٩٧٠–١٩٧١؛ أُعيد طبعه في جزأين، الرياض ١٤٠٠/ ١٩٨١، ١٥٨/٢–١٥٩؛ تحقيق كمال يوسف الحوت، جزءان، بيروت ١٤٠٧/١٩٨٧، ٥٨/٢–٥٩.

[٤] السمعانيّ، *كتاب الأنساب*، ٢٧٨/٣.

[٥] ابن قاضي شهبة، تقيّ الدين أبو بكر بن أحمد (ت. ١٤٤٨/٨٥١)، *طبقات الشافعيّة*، تحقيق عبد العليم خان، ٤ أجزاء، بيروت ١٤٠٧/١٩٨٧، ٢٥٩/١ (رقم ٢٢١).

[٦] السمعانيّ، *كتاب الأنساب*، ٢٧٨/٣.

[٧] ابن الأثير، عزّ الدين أبو الحسن عليّ بن محمّد الجزريّ (وُلد ٥٥٥/ ١١٦٥، تُوفّيَ ٦٣٠/ ١٢٣٣)، *اللباب في تهذيب الأنساب*، ٣ أجزاء، بيروت ١٤٠٠/ ١٩٨٠، ١٢٨/٢.

الصلاح (ت. ٦٤٣/ ١٢٤٥).[٨] وقد نقلت المصادر المتأخّرة ما يؤكّد سنة وفاة أبي خلف الطبريّ عن *طبقات الشافعيّة* لابن باطيش (ت. ٦٥٥/ ١٢٥٧)، الذي لم يُنشر بعد.[٩] ويتضمّن *تهذيبُ الأسماء واللغات* للنوويّ (ت. ٦٧٦/ ١٢٧٧)[١٠] معلومةً مهمّة عن آراء أبي خلف الطبريّ الفقهيّة. وتُضاف إلى المصادر المبكّرة ترجمتان قصيرتان في كتابَي الطبقات العائدَين إلى فقيهَين شافعيَّين من القرن الثامن/الرابع عشر، وهما *طبقات الشافعيّة الكبرى* للسبكيّ (ت. ٧٧١/ ١٣٦٩)[١١] *وطبقات الشافعيّة* للأسنويّ.[١٢] أمّا المعلومات الأساسيّة المتعلّقة بأبي خلف الطبريّ باعتباره مؤلّف *سلوة العارفين* فموجودة في ترجمته في كتاب السبكيّ، وهي ترجمةٌ مهمّةٌ رغم إيجازها، وينقل كتاب الأسنويّ معرفته المباشرة ببعض تصنيفات أبي خلف الطبريّ الفقهيّة.[١٣] وتضيف المعلومات المدوَّنة في كتاب *طبقات الشافعيّة* لابن قاضي شهبة[١٤] مزيدًا من الملاحظات إلى أعمال أبي خلف الطبريّ. أمّا ابن هداية الله الحسينيّ (ت. ١٠١٤/ ١٦٠٥–١٦٠٦)،[١٥] فيكتفي بنقل المعلومات الموجودة في المصادر المبكّرة. ولا معلومات عن مؤلّف *سلوة العارفين* في كتب الطبقات الشافعيّة المعاصرة

---

[٨] ابن الصلاح، تقيّ الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن الكرديّ الشهرزوريّ (وُلد ٥٧٧/ ١١٨١، تُوفّي ٦٤٣/ ١٢٤٥)، *طبقات الفقهاء الشافعيّة*، تحقيق محيي الدين عليّ نجيب، بيروت ١٤١٣/١٩٩٢، ٤٢١، ٥٥٤، ٦٨٨ (رقم ٢٧١).

[٩] يؤكّد ابن باطيش، أبو مجد إسماعيل بن هبة الله الموصليّ الشافعيّ (ت. ٦٥٥/١٢٥٧)، مؤلِّف *طبقات الشافعيّة*، أنّ وفاة أبي خلف الطبريّ كانت «حوالي ٤٧٠» كما ذكرها الأسنويّ، *طبقات الشافعيّة*، تحقيق الحوت، ٥٨/١.

[١٠] النوويّ، محيي الدين أبو زكريّا يحيى بن شرف الدمشقيّ الشافعيّ (وُلد ٦٣١/ ١٢٣٣، تُوفّي ٦٧٦/ ١٢٧٧)، *تهذيب الأسماء واللغات*، ٤ أجزاء، القاهرة ١٩٢٧؛ أُعيد طبعه في بيروت ١٩٧٧، ٢/ ٢٢٣ (رقم ٣٣٣).

[١١] تاج الدين أبو نصر عبد الوهّاب بن عليّ السبكيّ (ت. ٧٧١/١٣٦٩)، *طبقات الشافعيّة الكبرى*، تحقيق محمود محمّد الطناحي وعبد الفتّاح محمّد الحلو، ١٠ أجزاء، القاهرة ١٣٨٣–١٣٩٦/ ١٩٦٤–١٩٧٦، ١٧٩/٤–١٨٠.

[١٢] الأسنويّ، *طبقات الشافعيّة*، تحقيق الجبوري، ١٥٨/٢–١٥٩؛ تحقيق الحوت، ٥٨/٢–٥٩.

[١٣] الأسنويّ، *طبقات الشافعيّة*، تحقيق الحوت، ٥٨/٢.

[١٤] ابن قاضي شهبة، *طبقات الشافعيّة*، ٢٥٨/١–٢٥٩ (رقم ٢٢١).

[١٥] أبو بكر بن هداية الله الحسينيّ (ت. ١٠١٤/١٦٠٥–١٦٠٦)، *طبقات الشافعيّة*، ت. عادل نويهض، بيروت ١٩٧١، ١٦٩.

له ككتاب *طبقات الفقهاء الشافعيّة* للعبّاديّ (ت. ١٠٦٦/٤٥٨)[١٦] *وطبقات الفقهاء* لأبي إسحاق الشيرازيّ (ت. ١٠٨٣/٤٧٦).[١٧] ولا يذكر كتاب *طبقات فقهاء اليمن* لابن سَمُرة الجعديّ (ت. ١١٩٠/٥٨٦)[١٨] أبا خلف الطبريّ لتركيز الكتاب على منطقة اليمن.

٢. مسيرة أبي خلف الطبريّ العلميّة

يمكن تصوير حياة أبي خلف الطبريّ ومسيرته العلميّة من المصادر العربيّة بالحديث عن بضع نقاط؛ لمّا كان أبو خلف الطبريّ من عائلة السَّلْميّ المنحدرة من طبرستان، تلقّى التعليم بدايةً في مَرْو ثمّ في نيسابور، المركزَين العلميَّين في خراسان (شمال شرقيّ إيران) في القرن الخامس/الحادي عشر. ومن أساتذته اثنان من أبرز علماء المذهب الشافعيّ، وهما القفّال وعبد القادر البغداديّ.[١٩] درس أبو خلف الطبريّ بدايةً على القفّال[٢٠] الذي كان يُعَدّ أهمّ علماء المدرسة الشافعيّة في خراسان، وقد عاش في مرو وتُوفّي فيها في سنّ التسعين عام ١٠٢٦/٤١٧. وقد تشير سنة وفاة القفّال إلى أنّ أبا خلف الطبريّ وُلد حوالي عام ١٠١٠/٤٠٠. بعد وفاة القفّال، صار عبد القاهر البغداديّ،[٢١] مؤلِّف كتاب الفرق المشهور *الفَرق بين الفِرق*، أستاذ أبي خلف الطبريّ الأساسيّ في نيسابور. وعُرف البغداديّ بثرائه وكونه أبرز من قُصد

[١٦] أبو عاصم محمّد بن أحمد العبّاديّ الهرويّ الشافعيّ (وُلد ٩٨٥/٣٧٥-٩٨٦، تُوفّي ١٠٦٦/٤٥٨)، *كتاب طبقات الفقهاء الشافعيّة*، ت. ج. فيتيستام (G. Vitestam)، ليدن ١٩٦٤.

[١٧] أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ الشيرازيّ (وُلد ١٠٠٣/٣٩٣، تُوفّي ١٠٨٣/٤٧٦)، *طبقات الفقهاء*، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت ١٩٨١/١٤٠١.

[١٨] عمر بن عليّ بن سَمُرة الجعديّ (ت. ١١٩٠/٥٨٦)، *طبقات فقهاء اليمن*، تحقيق فؤاد سيّد، بيروت ١٩٨١.

[١٩] السبكيّ، *طبقات الشافعيّة الكبرى*، ٧٦/٣.

[٢٠] للاطّلاع على التفاصيل المتعلّقة بالقفّال، أبي بكر عبد الله بن أحمد بن المَرْوَزيّ الخراسانيّ (ت. ٤١٧/ ١٠٢٦)، انظر: شمس الدين محمّد بن أحمد الذهبيّ (ت. ١٣٤٨/٧٤٨)، سير *أعلام النبلاء*، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، ٢٥ جزءًا، بيروت ١٩٨١/١٤٠١-١٩٨٨/١٤٠٩، ٤٠٥/١٧.

[٢١] للاطّلاع على التفاصيل المتعلّقة بأبي منصور، عبد القاهر بن طاهر البغداديّ (ت. ١٠٣٨/٤٢٩ في إسفرائين)، انظر: الذهبيّ، سير، ٥٧٢/١٧.

لدراسة الفقه الشافعيّ في خراسان، وكان والده قد أحضره في صغره من بغداد إلى نيسابور التي اتّخذها منزلًا له، إلّا أنّه غادرها في أواخر عمره بسبب أعمال الشغب التي قام بها التركمان،[٢٢] وأقام في إصفهان حيث مات في سنّ متقدّمة عام ٤٢٩/ ١٠٣٨.

شهدت نيسابور بشكلٍ أساسيٍّ على تطوّر مسيرة أبي خلف الطبريّ العلميّة ونشاطاته، حيث صار فقيهًا شافعيًّا ومؤلِّفًا في التصوّف أيضًا. وعُرف بين علماء نيسابور بوضع كتب في الفقه الشافعيّ، وبآرائه المستقلّة والمختلفة عن أقوال جمهور علماء الشافعيّة. وقد حُفظت بعض الإحالات إلى رسائله في الفقه الشافعيّ، لكن يبدو أنّ أيًّا من أعماله الفقهيّة لم يصلنا؛ فيذكر السمعانيّ أنّ أبا خلف الطبريّ «صنّف مجموعًا حسنًا في المذهب لنا يُقال له «الكفاية»... استحسنه كلّ من رآه.»[٢٣] ويذكره ابن الأثير في *اللباب* بعنوان *الكناية*.[٢٤] ويبدو أنّ لفظ «الكفاية» بمعنى «تلخيص» للفقه الشافعيّ هو اللفظ الأصحّ والأكثر ملاءمة. بينما تبدو «الكناية» – والتي تعبّر عن المصطلح الفقهيّ: «تصريح غير مباشر عن المقصود» – وصفًا مستبعَدًا للهدف العامّ من التلخيص. علاوة على ذلك، يذكر ابن الصلاح أنّ رجلًا اسمه أبو سُريج إسماعيل بن أحمد بن الحسن الشاشيّ النقّاد (ت. قبل ٤٧٠/ ١٠٧٧)، وهو أحد تلامذة أبي خلف الطبريّ، أكمل تعليقًا على كتاب أستاذه في أصول الفقه في غزنة عام ٤٣٤/ ١٠٤٢–١٠٤٣، غير أنّه بنى تعليقه على أصول الدين على عمل مؤلِّف آخر.[٢٥] وقد عاين ابن قاضي شهبة شرح أبي خلف الطبريّ – وهو في جزء واحد – على *كتاب المفتاح*،[٢٦] وهو دليل في تطبيقات المذهب الشافعيّ لأبي العبّاس أحمد بن أبي أحمد الطبريّ البغداديّ الشافعيّ، المعروف بابن القاصّ، والذي توفّي مرابطًا في طرطوس عام ٣٣٥/٩٤٦، وهي مدينة

[٢٢] ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسن الدمشقيّ، *تبيين كذب المفتري*، بيروت ١٤٠٤/ ١٩٨٤، ٢٥٣–٢٥٤.
[٢٣] السمعانيّ، *كتاب الأنساب*، ٣/ ٢٧٨.
[٢٤] ابن الأثير، *اللباب*، ٢/ ١٢٨.
[٢٥] ابن الصلاح، *طبقات الفقهاء الشافعيّة*، ٤٢١.
[٢٦] ابن قاضي شهبة، *طبقات الشافعيّة*، ١/ ٢٥٨ (رقم ٢٢١).

محصَّنة تقع على الساحل السوريّ.[٢٧] وكان ابن قاضي شهبة على اطّلاع على مؤلَّف أبي خلف الطبريّ في أصول الفقه المعنوَن *كتاب المعين*،[٢٨] والذي طوّر فيه الكاتب آراءً فقهيّة اختلفت عن آراء جمهور علماء المذهب الشافعيّ.[٢٩]

أمّا الأسنويّ، فيذكر أنّه ملك كتابَين من كتب أبي خلف الطبريّ الفقهيّة؛ أحدهما نسخة عن شرحه لـ *كتاب المفتاح* لابن القاصّ والذي ضمّ آراءً في فروع المذهب الشافعيّ – وهي آراء يجدها الأسنويّ غريبة وغير اعتياديّة، وثانيهما نسخة من *كتاب المعين* لأبي خلف الطبريّ، والذي يحوي آراءً اختلفت عن أصول الفقه الشافعيّ.[٣٠] علاوة على ذلك، يقول الأسنويّ إنّ نسخة موقَّعة من *كتاب المعين* وُجدت في وقته في مكتبة رباط السدرة، وهو رباط للصوفيّين في مكّة.[٣١] ويشير حاجّي خليفة في كتابه *كشف الظنون* إلى شرح أبي خلف الطبريّ على *كتاب المفتاح* لابن القاصّ،[٣٢] ويذكر عنوانَ *كتاب المعين* كاملًا على أنّه: *كتاب المعين على معتقد الدين*، وهو مطابق للنسخة المكتوبة بخطّ المؤلّف والمحفوظة في رباط السدرة في مكّة.[٣٣] ويقتبس إسماعيل باشا البغداديّ في كتابه *إيضاح المكنون* – وهو ذيل على كتاب *كشف الظنون* لحاجّي خليفة – عنوانَ *كتاب الكناية*[٣٤] *في الفقه* لأبي خلف الطبريّ.[٣٥] ويعدّد البغداديّ أيضًا كُتب أبي خلف الطبريّ الفقهيّةَ الآتية:[٣٦] *شرح مفتاح ابن القاصّ في*

---

[٢٧] انظر: الذهبيّ، سير، ١٥/ ٣٧١-٣٧٢؛
Fuat Sezgin, *GAS*, Leiden 1967, I, 496-7.

[٢٨] ابن قاضي شهبة، *طبقات الشافعيّة*، ١/ ٢٥٨ (رقم ٢٢١).

[٢٩] ابن قاضي شهبة، *طبقات الشافعيّة*، ١/ ٢٥٨ (رقم ٢٢١؛ فقد أفرد النوع الفقهيّ منه).

[٣٠] يقول الأسنويّ: «وعندي أيضًا نسخة من النوع الفقهيّ من كتابه *المعين* وهو مشتمل على نوع آخر معقود للأصول»؛ الأسنويّ، *طبقات الشافعيّة*، تحقيق الحوت، ٢/ ١٥٨-١٥٩؛ ٢/ ٥٨-٥٩.

[٣١] الأسنويّ، *طبقات الشافعيّة*، تحقيق الحوت، ٢/ ١٥٩؛ ٢/ ٥٩.

[٣٢] حاجّي خليفة، *كشف الظنون*، بغداد د.ت.، ١٧٦٩.

[٣٣] حاجّي خليفة، *كشف الظنون*، ١٧٤٥.

[٣٤] كذا في الأصل، والصواب: الكفاية.

[٣٥] إسماعيل باشا البغداديّ، *إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون*، جزءان، بغداد د.ت.، ٢/ ٣٢٤-٣٢٥.

[٣٦] إسماعيل باشا البغداديّ، *هداية العارفين*، جزءان، بيروت ١٩٥٥، ٢/ ٧٣. ابتغاءً للدقّة، نشير إلى أنّ

الفروع، وكتاب *الكناية*[٣٧] *في الفقه*، و*المعين على مقتضى الدين*، و*النوع الفقهيّ من أنواع المقصود*.[٣٨] وبالتالي، يتأكّد لنا أنّ أبا خلف الطبريّ قد وضع ثلاثة كتب فقهيّة على الأقلّ: *كتاب الكفاية*، و*كتاب المعين*، وشرح *كتاب المفتاح*. غير أنّه يستحيل الجزم فيما إذا كان النقّاد قد وضع تعليقه على *كتاب الكفاية* أم *كتاب المعين*. وإذا ما أُخذت الروايات كافّةً في عين الاعتبار، رُجّح أن يكون لكتاب أبي خلف الطبريّ قسمان، أحدهما في أصول الفقه والثاني في أصول الدين.

وتُولِي المصادر الشافعيّة اهتمامًا خاصًّا بإظهار آراء أبي خلف الطبريّ المستقلّة عن غيرها من الآراء الفقهيّة والمباينة لها، والتي حافظ فيها على صرامة تتجاوز تلك المعهودة عند غالبيّة علماء المذهب الشافعيّ. ومن الأمثلة على ذلك تأويله للكفّارة التي تجب على المسلم الذي ينقض الصيام في شهر رمضان؛ فيقول بلزوم كفّارة كاملة على المسلم الذي ينقض واجب الصيام بأيّ شكل من الأشكال، سواء أكان بالشرب، أو الأكل، أو الجماع، أو الإتيان بما يشبه ذلك من الأعمال المحرَّمة في نُهُر أيّام رمضان. وهذا الحكم خلافُ تأويل جمهور علماء الشافعيّة الذي يقضي بكفّارة كاملة – أي صيام ستّين يومًا بعد انقضاء شهر رمضان – عندما يُنقض الصومُ بسبب إقامة الجماع حصرًا، وصيام يوم واحد فحسب عند نقضه بالأكل أو الشرب.[٣٩] وفي رأي آخر مخالف لرأي جمهور الشافعيّة، يجيز أبو خلف الطبريّ إعطاء الزكاة لمسلم وقع في دَين بسبب خطيئةٍ ما ثمّ تاب عنها.[٤٠] وفي رأي ثالث اتّفق أبو خلف الطبريّ مع

إسماعيل باشا البغداديّ يعدّد: *شرح مفتاح ابن القاصّ في الفروع*، و*كتاب الكناية في الفقه* (بدلًا من الكفاية)، و*المعين على مقتضى الدين*، و*النوع الفقهيّ من أنواع المقصود*. علاوة على ذلك، يذكر عنوان كتاب أبي خلف الطبريّ *سلوة العارفين وأُنس المشتاقين*؛ انظر ما يلي.

[٣٧] كذا في الأصل، والصواب: الكفاية.

[٣٨] تؤكّد لائحةَ العناوين التي يذكرها إسماعيل باشا البغداديّ، *هداية العارفين*، ٢/ ٧٣، عناوينُ أعمال أبي خلف الطبريّ التي يذكرها عمر رضا كحّالة، معجم *المؤلّفين*، ١٥ جزءًا، دمشق ١٩٥٧/ ١٩٧٦، إعادة طبع ضوئيّ، بيروت (مكتبة المثنّى) د.ت.، ٩/ ٢٥٦، وخير الدين الزركليّ، *الأعلام*، بيروت ٢٠٠٢، ٦/ ٢٤٨.

[٣٩] السبكيّ، *طبقات الشافعيّة الكبرى*، ٣/ ٧٦؛ ٤/ ١٧٩؛ وابن قاضي شهبة، *طبقات الشافعيّة*، ٢/ ٢٥٩.

[٤٠] ابن الصلاح، *طبقات الفقهاء الشافعيّة*، ٦٨٨.

أستاذه عبد القاهر البغداديّ في حرمة دخول المسلم في شراكة باعتباره مالكًا لأسهم.[٤١] أخيرًا، ذكر النوويّ في *تهذيب الأسماع* أنّه أورد آراء أبي خلف الطبريّ الفقهيّة مرارًا في كتابه *روضة الطالبين*، ولم تُذكر هذه الآراء في كُتب الفقه الشافعيّ الأخرى.[٤٢] في الواقع، يذكر النوويّ في *روضة الطالبين* آراءَ أبي خلف الطبريّ في خمسة مواضع: الكفّارة الكاملة عند الإفطار في نُهُر رمضان،[٤٣] والوراثة بين الأشقّاء،[٤٤] والوراثة بين الإخوة غير الأشقّاء،[٤٥] وما يلزم في وراثة المولود حديثًا،[٤٦] وعقوبة المماليك في الجرائم التي يُقام فيها الحدّ.[٤٧]

علاوة على عدد من المصنَّفات الفقهيّة، وضع أبو خلف الطبريّ كتابًا واحدًا في التصوّف، وهو الدليل المُعنون *سلوة العارفين وأُنس المشتاقين*. وقد وصف السبكيّ هذا العمل بالكلمات الآتية التي عبّر فيها عن إعجابه به:

> وقفت له على كتاب سلوة العارفين وأُنس المشتاقين في التصوّف وهو كتاب جليل في بابه أعجبت به جدًّا صنّفه للرئيس أبي عليّ حسّان بن سعيد المنيعيّ ورتّبه على اثنَيْن وسبعين بابًا أوّلها في معنى التصوّف وآخرها على بيان طبقات الصوفيّة وتراجمهم وما أراه إلّا حاكى رسالة أبي القاسم القشيريّ[٤٨] ولعلّ خمول هذا الكتاب بهذا السبب وإلّا فهو حسن جدًّا ولم أقف منه قطّ إلّا على

[٤١] ابن الصلاح، *طبقات الفقهاء الشافعيّة*، ٥٥٤.

[٤٢] النوويّ، *تهذيب الأسماع*، ٢/٢٣٣ (رقم ٣٣٣).

[٤٣] النوويّ، *روضة الطالبين*، ٨ أجزاء، بيروت ١٤٢١/٢٠٠٠، ٢/٢٤٢.

[٤٤] النوويّ، *روضة الطالبين*، ٥/٢٢.

[٤٥] النوويّ، *روضة الطالبين*، ٨/٤٤٠.

[٤٦] النوويّ، *روضة الطالبين*، ٥/٣٩٨.

[٤٧] النوويّ، *روضة الطالبين*، ٧/٣١٩.

[٤٨] أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيريّ، *الرسالة القشيريّة*، تحقيق عبد الحكيم محمود ومحمود بن الشريف، القاهرة ١٩٦٦؛ ترجمة فارسيّة، بديع الزمان فروزنفر، *ترجمه رساله قشيريّه*، تهران ١٣٤٥ هـ-ش، ١٩٦٧؛ ترجمة ألمانيّة،

R. Gramlich, *Das Sendschreiben al-Qušayrīs über das Sufitum*, Wiesbaden 1989;

ترجمة إنجليزيّة،

A. D. Knysh, *Al-Qushayri's Epistle on Sufism*, Reading 2007.

> النسخة التي قدّمها هو للمنيعيّ نفسها وهي خطٌّ مليح مضبوط وقفها الملك الأشرف موسى في خزانة كتبه بدار الحديث الأشرفيّة بدمشق وقد خاض أبو خلف في هذا الكتاب مع الصوفيّة في أحوالهم وأبان عن معرفة جيّدة بهذه الطريقة وتكيّف بها وذكر أنّه فرغ من تصنيفه في ربيع الآخر عام تسع وخمسين وأربعمائة وذكر ابن باطيش أنّ أبا خلف تُوفّي في حدود عام سبعين وأربعمائة.[٤٩]

يجيب هذا الاقتباس عن عدد من الأسئلة ويطرح أخرى. أوّلًا، إنّ السبكيّ أقدم مصدر يذكر عنوانَ كتاب أبي خلف الطبريّ في التصوّف، ويحدّد تاريخ كتابته على أنّه في شهر ربيع الثاني من عام ٤٥٩/١٠٦٧. والمصدر الآخر الوحيد الذي يذكر عنوان الكتاب وتاريخ كتابته هو ابن قاضي شهبة، ويعتمد في ذلك على السبكيّ بشكل واضح.[٥٠] ثانيًا، وُضع الكتاب وفقًا للسبكيّ بطلب من أبي عليّ حسّان بن سعيد المنيعيّ (ت. ٤٦٣/١٠٧١)،[٥١] وهو رجل ثريّ من نيسابور كان رئيسًا للفتوّة الصوفيّة المحلّيّة وراعيًا لعلمائها. ثالثًا، يذكر الاقتباس *رسالة* القشيريّ (ت. ٤٦٥/١٠٧٢) باعتبارها الدليل المعتمَد في التصوّف في ذلك الزمان، والذي صعّب على عمل أبي خلف الطبريّ أن ينال القبول مع وجودها. فبقي عمل أبي خلف الطبريّ في ظلّ *الرسالة* – التي وُضعت قبله بعقدين، وذلك عام ٤٣٧/ ١٠٤٥–١٠٤٦ – والتي صارت الدليل الأكثر موثوقيّة في القرن الخامس/الحادي عشر في نيسابور وخارجها. أخيرًا، يزوّدنا السبكيّ بمعلومات عن تاريخ المخطوط الذي قُدّم لأبي عليّ حسّان بن سعيد المنيعيّ، والذي كان موجودًا حسب قول السبكيّ في مكتبة دار الحديث في دمشق في القرن الثامن/الرابع عشر. وكان في دمشق مدرستان حملتا اسم دار الحديث

[٤٩] السبكيّ، *طبقات الشافعيّة الكبرى*، ٣/٧٦؛ يوافق ربيع الثاني من عام ٤٥٩ للهجرة شهرَ فبراير من عام ١٠٦٧ للميلاد.

[٥٠] ابن قاضي شهبة، *طبقات الشافعيّة*، ١/٢٥٨.

[٥١] السمعانيّ، *كتاب الأنساب*، ٥/٤٠٠–٤٠١؛ والذهبيّ، *سِيَر*، ١٨/٢٦٥–٢٦٧؛ والذهبيّ، *تأريخ الإسلام*، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ٥٢ جزءًا، بيروت ١٤٠٧/١٩٨٧–١٤٢١/٢٠٠٠، السنوات ٤٦١–٤٧٠، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت ١٩٩٤، ١١٦–١١٩.

الأشرفيّة، إحداهما داخل المدينة والأخرى خارج أسوارها على جبل عند شمال شرق المدينة.[٥٢] وقد شيّدهما الأمير الأيّوبيّ الملك الأشرف موسى (ت. ٦٣٥/ ١٢٣٧)، الذي كان قد عيّن نفسه سلطانًا في دمشق عام ٦٢٦/ ١٢٢٩، وهو أخ الملك الكامل (ت. ٦٣٥/ ١٢٣٨)، سلطان مصر الأيّوبيّ.[٥٣]

ويمكن إيجاد معلومات عن الظروف المحيطة بأبي عليّ حسّان بن سعيد المنيعيّ – وهو الحاكم الذي أهداه أبو خلف الطبريّ كتاب *سلوة العارفين* – في أعمال السمعانيّ وعبد الغافر الفارسيّ (ت. ٥٢٩/ ١١٣٤). وقد استقى الذهبيّ (ت. ٧٤٨/ ١٣٤٨) منهما معظم ما أورده في ترجمته للمنيعيّ.[٥٤] ويعزو السمعانيّ في *كتاب الأنساب* نسبةَ المنيعيّ إلى أحد أسلافه المُسمّى منيع والذي كان من سكّان مرْو الروذ، وهي مدينة مؤلَّفة من خمس أو ستّ مراحل أعلى النهر من مدينة مرو في خراسان.[٥٥] ويُرجِع نسبَه إلى خالد بن الوليد المخزوميّ (ت. ٢١/ ٦٤٢)،[٥٦] القائد العربيّ المشهور في زمن الحروب الإسلاميّة المبكّرة.[٥٧] ويُصوَّر أبو عليّ حسّان المنيعيّ على أنّه رجل تقيّ قد أدّى فريضة الحجّ إلى مكّة، وعُدَّ رئيس الفتوّة الصوفيّة في زمانه. وهو رجل ثريّ وكريم، بنى مساجد، ومدارس، ورباطات، وعُني بدعم العلماء وطلّابهم. ويعزو السمعانيّ إليه تمويل بناء الجامع الرئيس في نيسابور وهو مبنى عظيم وجميل.[٥٨]

---

٥٢ L. Pouzet, *Damas au VII^e/XIII^e siècle*, Beirut 1991, 188-91, 268-70; G. Makdisi, *The Rise of Colleges*, Edinburgh 1981, 157-8; 201; 208-13.

٥٣ C. Cahen, «Ayyūbids,» in *EI²*, 1/796-807 (praesertim 799); N. Eliseséefff, «Dimashḳ,» in *EI²*, 2/277-91 (praesertim 284).

٥٤ الذهبيّ، *تأريخ الإسلام*، السنوات ٤٦١–٤٧٠، ١١٦–١١٩؛ والذهبيّ، *سِير*، ١٨/ ٢٦٥–٢٦٧.

٥٥ C. E. Bosworth, «Marw al-Rūdh,» in *EI²*, 6/617-8.

٥٦ وفقًا للسمعانيّ، نسبه هو: أبو عليّ حسّان بن سعيد بن حسّان بن محمّد بن أحمد بن عبد الله بن محمّد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد المخزوميّ المنيعيّ؛ السمعانيّ، *كتاب الأنساب*، ٥/ ٤٠٠.

٥٧ M. Ullmann, «Khālid b. al-Walīd,» in *EI²*, 4/929-30.

٥٨ الذهبيّ، *تأريخ الإسلام*، السنوات ٤٦١–٤٧٠، ١١٦–١١٩ (وهو يقتبس من عبد الغافر الفارسيّ)؛ الصريفينيّ، تقيّ الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد (ت. ٦٤١/ ١٢٤٣–١٢٤٤)، *المنتخَب من كتاب السياق لتأريخ نيسابور* (تحقيق خالد حيدر)، مكّة د. ت.، ٢٢٧–٢٢٨.

وكان أبو عليّ حسّان بن سعيد المنيعيّ، وفقًا للسمعانيّ، عالمًا درس عند كثير من الأساتذة في العراق، والحجاز، وخراسان. وقد درس في نيسابور على أبي طاهر محمّد بن محمّد بن مَحمِش الزياديّ (ت. ٤١٠/ ١٠١٩)؛[٥٩] وفي إسفرايين على أبي الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ الإسفراييني المعروف بابن السقّاء (ت. ٤١٤/ ١٠٢٣)؛[٦٠] وفي بلخ على أبي عليّ الحسن بن أحمد بن محمّد البلخيّ، المعروف بالخطيب (ت. حوالي ٤٣٠/ ١٠٣٩)؛[٦١] وفي إصفهان على أبي بكر محمّد بن عبد الله الضبّيّ المعروف بابن ريذة (ت. ٤٤٠/ ١٠٤٩)؛[٦٢] وفي مكّة على أبي الحسن محمّد ابن عليّ الأزديّ البصريّ المعروف بابن صخر (ت. ٤٤٣/ ١٠٥١).[٦٣] ومن بين طلّابه الكثر أبو المظفّر عبد المنعم بن أبي القاسم القشيريّ (ت. ٥٣٢/ ١١٣٧–١١٣٨)، وهو الابن السادس والأصغر لصاحب *الرسالة*، والذي صار مصدر السمعانيّ الأساسيّ للمعلومات المتعلّقة بأبي عليّ المنيعيّ. أخيرًا، يذكر السمعانيّ أنّ وفاة أبي عليّ المنيعيّ كانت يوم الجمعة الواقع في السابع والعشرين من ذي القعدة عام ٤٦٣ (السادس والعشرين من أغسطس، ١٠٧١) في مرو الروذ، حيث زار السمعانيّ قبره.[٦٤] ويذكر السمعانيّ في *ذيل الأنساب* أنّ المنيعيّ كان أحد كبار التجّار وأصحاب الأملاك في مدينته، وبرزت مكانته أيّام الحكم السلجوقيّ في نيسابور، ذلك أنّه بادر ببناء المسجد الكبير في كلٍّ من مرو الروذ ونيسابور.[٦٥]

وفي كتاب *السياق لتأريخ نيسابور* لأبي الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسيّ مزيد من المعلومات المتعلّقة بالظروف المحيطة بأبي عليّ حسّان بن سعيد المنيعيّ

---

[٥٩] الذهبيّ، *سِير*، ١٧/ ٢٧٦–٢٧٨.
[٦٠] الذهبيّ، *سِير*، ١٧/ ٣٠٥–٣٠٦.
[٦١] البغداديّ، *تأريخ بغداد*، ١٤ جزءًا، القاهرة ١٣٤٩/ ١٩٣١، ٧/ ٢٩٠–٢٩١ (رقم ٣٧٧٦)؛ والصريفينيّ، *المنتخَب*، ١٩٢ (رقم ٤٩٢)؛ والذهبيّ، *تأريخ الإسلام*، السنوات ٤٢١–٤٤٠، ٢٨٤–٢٨٥.
[٦٢] الذهبيّ، *سِير*، ١٧/ ٥٩٥–٥٩٦.
[٦٣] الذهبيّ، *سِير*، ١٧/ ٦٣٨–٦٣٩.
[٦٤] السمعانيّ، *كتاب الأنساب*، ٥/ ٤٠٠.
[٦٥] كتاب *ذيل الأنساب* لأبي سعد السمعانيّ مفقود، غير أنّ المقطع الذي نُعنى به قد اقتُبس حرفيًّا في الذهبيّ، *تأريخ الإسلام*، السنوات ٤٦١–٤٧٠، ١١٨.

(٤٥١/ ١٠٥٩–٥٢٩/ ١١٣٤).[٦٦] وقد وُضع هذا الكتاب تكملةً وسياقًا لكتابٍ مهمٍّ ومفقودٍ هو *تأريخ نيسابور*، المكوَّن من اثني عشر مجلَّدًا، والذي وضعه الحاكم النيسابوريّ المعروف بابن البيّع (وُلد ٣٢١/ ٩٣٣، توفّي ٤٠٥/ ١٠١٤).[٦٧] وقد وصلنا جزء مهمّ من *السياق* بعنوان *المختصَر من كتاب السياق لتأريخ نيسابور*؛ يبدأ الجزء بمنتصف القسم الخاصّ بحرف الحاء، وقد طُبعَ مؤخَّرًا. ويحوي هذا الجزء ترجمةً طويلةً لأبي عليّ حسّان بن سعيد المنيعيّ.[٦٨] وفي الكتاب المنشور تحت عنوان *المنتخب من كتاب السياق في تأريخ نيسابور* لتقيّ الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمّد الصريفينيّ (ت. ٦٤١/ ١٢٤٣) – وهو تلخيص لكتاب *السياق* – ملاحظةٌ موجَزة عن المنيعيّ.[٦٩]

وبينما يركّز السمعانيّ على معلومات تاريخيّة أساسيّة، يذكر عبد الغافر الفارسيّ عدّة تفاصيل في كلامه على أبي عليّ حسّان بن سعيد المنيعيّ ويمجّده تمجيدًا جمًّا. فهو يصوّره على أنّه رجل ذو تصرّفات مبهرة وشخصيّة دمثة، وهو ثريّ وموفَّق، وصاحب عزيمة على الأفعال النبيلة والأعمال الصالحة. وكان المنيعيّ في شبابه في مرو الروذ شديد الالتزام بأسلوب حياة الفتوّة، غير أنّه صار شخصيّة بارزة ومؤثّرة في عهد السلطان السلجوقيّ ألب أرسلان (حكم ٤٥٥/ ١٠٦٣–٤٦٥/ ١٠٧٢). وقد عهد

---

[٦٦] الذهبيّ، *سِير*، ٢٠/ ١٦–١٨.

[٦٧] الذهبيّ، *سِير*، ١٧/ ١٦٢–١٧٧.

[٦٨] نُشر هذا الجزء تحت عنوان *المختصَر من كتاب السياق لتأريخ نيسابور*، تحقيق محمّد كاظم المحمودي، تهران ١٣٨٤ هـ-ش؛ انظر أيضًا:
R. N. Frye, *The Histories of Nishapur*, Cambridge, Mass. 1965,
الذي يعيد إنتاج صورة طبق الأصل للمخطوط الأساسيّ:
Ismail Saib 1544; cf. *GAL* I/ 365, *GAL* SI, 623.
ويرد فهرست لأعلام *المختصَر من كتاب السياق لتأريخ نيسابور* في:
H. Jaouiche, *The Histories of Nishapur*, Wiesbaden 1984.
يتضمّن مقدّمةً كتبها ج. فان إس (J. van Ess) (ص. v-viii) وفيها ملاحظات مهمّة على نصّ هذا الجزء.

[٦٩] الصريفينيّ، تقيّ الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد (ت. ٦٤١/ ١٢٤٣–١٢٤٤)، *المنتخَب من كتاب السياق لتأريخ نيسابور* (تحقيق خالد حيدر)، مكّة د. ت. (بيروت ١٩٩٣)، ٢٢٧–٢٢٨؛ يخطئ محقّق الكتاب بتعريف المؤلّف على أنّه الصَّيْرَفيني.

إليه وزيره ببناء الجامع الكبير في نيسابور، وما هذا الوزير إلّا نظام الملك المشهور (اغتيل في ٤٨٥/١٠٩٢)، الذي سيطر على الحكم في خراسان سيطرة تامّة في عهد السلطان ألب أرسلان وملك شاه (حكم ٤٦٥/١٠٧٢–٤٨٥/١٠٩٢).[٧٠] ويصف *السياق* إشراف المنيعيّ على بناء مجمّع المسجد بتفصيل شديد، وقد بدأت عمليّة البناء في ٤٥٦/١٠٦٤–٤٥٧/١٠٦٥ وانتهى الهيكل الأساسيّ عام ٤٦١/١٠٦٩. أخيرًا، يذكر *السياق* أستاذَين آخرَين من أستاذة المنيعيّ الآخرين وهما أبو القاسم حسن بن محمّد بن حسن بن حبيب النيسابوريّ (ت. ٤٠٦/١٠١٦)[٧١] والشيخ الصوفيّ أبو محمّد عبد الله بن يوسف الأردستانيّ الإصبهانيّ (ت. ٤٠٩/١٠١٩).[٧٢] ويُختم *السياق* بأوّل تأريخ دقيق لوفاة المنيعيّ في يوم الجمعة السابع والعشرين من ذي القعدة في عام ٤٦٣ (السادس والعشرين من أغسطس، ١٠٧١).[٧٣]

عودة إلى أبي خلف الطبريّ، لا شكّ في أنّه كان فقيهًا شافعيًّا ومؤلِّف دليل في التصوّف. لكن إلى أيّ مدًى يمكن اعتباره صوفيًّا؟ تعرّفه المصادر المبكّرة على أنّه فقيه شافعيّ حصرًا، والسبكيّ هو أوّل من نعته بالفقيه والصوفيّ. ولا تترجم له كتب طبقات الصوفيّة أو تذكره ضمن الصوفيّين، ولا ذكرَ لشيخٍ له في التصوّف أو مريد. ولا يظهر اسم أبي خلف الطبريّ في أسانيد الرواة الذين ينقلون الأخبار أو التعاليم الصوفيّة. باختصار، لا يظهر اسمه في الكتابات المتعلّقة بالتصوّف. ولا يُعثر على المعلومات المتعلّقة به إلّا في المصادر التي وضعها علماء المذهب الشافعيّ. ولا يذكر مصدرٌ – غير السبكيّ والمصادر المعتمدة على ترجمته – وضعَ أبي خلف الطبريّ كتابًا في التصوّف. غير أنّه هو الذي وضع هذا الدليل الكبير في التصوّف، *سلوة العارفين وأُنس المشتاقين*، وذلك في نيسابور. ويمثّل هذا الدليل مصدرًا مهمًّا في تاريخ التصوّف، فيقف جنبًا إلى جنب مع *الرسالة القشيريّة* و*تهذيب الأسرار*

[٧٠] انظر أيضًا:

R. W. Bulliet, *The Patricians of Nishapur*, Cambridge 1972, 45, 51, 65-66, 68.

[٧١] عبد الغافر الفارسيّ، *المختصَر من كتاب السياق لتأريخ نيسابور*، ٧؛ والذهبيّ، *سِير*، ١٧/٢٣٧–٢٣٨.

[٧٢] الفارسيّ، *المختصَر*، ١٦١؛ والذهبيّ، *سِير*، ١٧/٢٣٩؛ والذهبيّ، *تأريخ الإسلام*، السنوات ٤٠١–٤٢٠، ١٨٧–١٨٨.

[٧٣] عبد الغافر الفارسيّ، *المختصَر*، ٤٥–٥٥.

للخركوشيّ، اللذين وُضعا أيضًا في نيسابور في منتصف القرن الخامس/الحادي عشر؛ ونتناول فيما يأتي علاقتهما بـ *سلوة العارفين*.

كتابُ الأنساب للسمعانيّ أوّلُ مصدر حدّد تاريخ وفاة أبي خلف الطبريّ، فذكر أنّه في حدود ٤٧٠/١٠٧٧.[٧٤] وقد نقل ابن الأثير في كتابه *اللباب* هذا التاريخ من كتاب السمعانيّ، ويؤكّده كتاب *طبقات الشافعيّة* لابن باطيش، وهو غير منشور حتّى الآن.[٧٥] ونقل السبكيّ والأسنويّ وابن قاضي شهبة سنة وفاته عن ابن باطيش.[٧٦] أمّا فيما يتعلّق بتلامذة أبي خلف الطبريّ، فتكاد المصادر تخلو من أيّ ذكر لهم. ويمكن تعيين تلميذَين فقط نقلا تعاليمه في الفقه. بناءً على ملاحظة في *كتاب الأنساب* للسمعانيّ فإنّ الناقل الأساسيّ لتعاليم أبي خلف الطبريّ في الفقه الشافعيّ رجلٌ يُسمّى أبا الفتح موفَّق بن عبد الكريم الهرويّ.[٧٧] وإن كان في اسمه المدوَّن عند السبكيّ خطأ بسيط، فقد يكون أبو الفتح موفَّق بن طلحة الهرويّ الكرابيسيّ (ت. ٤٩٠/١٠٩٧) هو المقصود، كما هو عند عبد الغافر الفارسيّ.[٧٨] ويُعرَف عن أبي الفتح موفَّق الهرويّ أنّه درس في نيسابور، لا سيّما على أحمد بن عليّ بن خلف الشيرازيّ (ت. ٤٨٧/١٠٩٤)،[٧٩] قبل أن يرجع إلى هراة حيث أكمل مسيرته حتّى وفاته. أمّا التلميذ الثاني فهو أبو سُرَيج إسماعيل بن أحمد بن الحسن بن الشاشيّ النقّاد، وهو التلميذ الأشهر لأبي خلف الطبريّ ومؤلّف تعليقٍ على أحد أعماله الفقهيّة، والذي تُوفّي قبل عام ٤٧٠/١٠٧٧ - حسب ما يذكر السمعانيّ - وهو تاريخ وفاة أستاذه التقريبيّ.[٨٠]

ومن المفاجئ أن لا ترجمةَ لأبي خلف الطبريّ في *تأريخ الإسلام* للذهبيّ، لكنّ

---

[٧٤] السمعانيّ، *كتاب الأنساب*، ٣/٢٧٨.

[٧٥] ابن باطيش، أبو المجد إسماعيل بن هبة الله الموصليّ الشافعيّ (ت. ٦٥٥/١٢٥٧)؛ والذهبيّ، *سِير*، ٢٣/٣١٩؛ نفسه، *تأريخ الإسلام*، السنوات ٦٥١-٦٦٠، ١٩١-١٩٢.

[٧٦] السبكيّ، *طبقات الشافعيّة الكبرى*، ٣/٧٦؛ ٤/١٨٠؛ والأسنويّ، *طبقات الشافعيّة*، تحقيق الحوت، ٢/٥٨؛ ٢/١٥٩.

[٧٧] السمعانيّ، *كتاب الأنساب*، ٣/٢٧٨؛ وابن الأثير، *اللباب*، ٢/١٢٨.

[٧٨] عبد الغافر الفارسيّ، *المختصَر من كتاب السياق لتأريخ نيسابور*، ٣٨٨-٣٨٩.

[٧٩] الذهبيّ، *سِير*، ١٨/٤٧٨-٤٧٩.

[٨٠] السمعانيّ، *كتاب الأنساب*، ٥/٥١٩؛ وابن الأثير، *اللباب*، ٣/٣٢٢.

الأخير دوّن ترجمة قصيرة لعبد الملك الطبريّ حفيدِ أبي خلف الطبريّ. ولا يذكر الذهبيّ كنية عبد الملك الطبريّ وهي أبو محمّد، ولا اسم أبيه أو جدّه، ولا يورد إلّا خبرًا في تقواه يُظهِر أنّه عاش شيخًا صوفيًّا وزاهدًا ورعًا مدّة أربعين عامًا في مكّة.[٨١] وينقل الفاسيّ (ت. ٨٣٢/ ١٤٢٩) في *العقد الثمين* ترجمة الذهبيّ بشكل شبه حرفيّ، حاذفًا الخبر الآنف ذكره.[٨٢] غير أنّ الذهبيّ والفاسيّ يذكران بوضوح أنّ أخبارهما عن الحفيد مبنيّة على خبر في *ذيل* ابن السمعانيّ. لكن، ومع الأسف، لا ذكرَ في المصادر العربيّة عن *ذيل* ألّفه أحد أبناء السمعانيّ. ويُعرَف أنّ الوالد، أبا سعد السمعانيّ، مؤلّف *كتاب الأنساب*، كتب ذيلًا على *تأريخ بغداد* للخطيب البغداديّ (ت. ٤٦٣/ ١٠٧١) أيضًا. ولم يصلنا هذا الذيل إلّا بمقاطع أو اقتباسات منقولة في المصادر اللاحقة.[٨٣] لذلك يُرجَّح أنّ مصدر الذهبيّ في ترجمته للحفيد، أبي محمّد عبد الملك الطبريّ، ما هو إلّا *ذيل* السمعانيّ على *تأريخ بغداد* للبغداديّ.[٨٤]

ولـ *تأريخ بغداد* للخطيب البغداديّ ذيل عنوانه *ذيل تأريخ بغداد*، وقد ألّفه ابن النجّار (ت. ٦٤٣/ ١٢٤٥).[٨٥] ويشتمل هذا *الذيل* على ترجمة قصيرة لأبي محمّد الطبريّ تذكر كنيته، غير أنّها لا تضمّ المعلومات المفصَّلة المذكورة في الذيل المنسوب إلى (ابن) السمعانيّ في المصادر العربيّة. وعلى الرغم من المشكلات النصّيّة في الطبعة الموجودة بين أيدينا، تشير ترجمة ابن النجّار الموجَزة إلى اسم والد

---

[٨١] الذهبيّ، *تأريخ الإسلام*، السنوات ٥٢١–٥٤٠، ١٩٣–١٩٤.

[٨٢] تقيّ الدين محمّد بن أحمد الحسنيّ المكّيّ الفاسيّ (ت. ٨٣٢/١٤٢٩)، *العقد الثمين في تأريخ البلد الأمين*، تحقيق فؤاد سيّد، ٨ أجزاء، القاهرة ١٤٠٦/١٩٨٦، ٥/٥١٧ (رقم ١٨٩٤).

[٨٣] R. Sellheim, «al-Sam‘ānī,» in *EI*^{2}, 8/1024-5.

[٨٤] ويَظهر محتوى الترجمة، الذي يبدو أنّه منقول من ابن السمعانيّ، مع تغييرات ثانويّة في عدد من المصادر، ومنها، الذهبيّ، *تأريخ الإسلام*، السنوات ٥٢١–٥٤٠، ١٩٣–١٩٤؛ وسراج الدين أبو حفص عمر بن عليّ الأندلسيّ التكروريّ الشافعيّ ابن الملقّن (ت. ٨٠٤/ ١٤٠١)، *العقد المُذهب في طبقات حملة المذهب*، تحقيق أيمن نصر الأزهريّ وسيّد مهنّا، بيروت ١٤١٧/١٩٩٧، ٣١٣ (رقم ١١٩٣)؛ وتقيّ الدين الفاسيّ، *العقد الثمين*، ٥/٥١٧ (رقم ١٨٩٤).

[٨٥] ابن النجّار، محبّ الدين أبو عبد الله محمّد بن محمود البغداديّ (ت. ٦٤٣/ ١٢٤٥)، *ذيل تأريخ بغداد*، ٣ أجزاء (المُرقَّمة على أنّها الأجزاء رقم ١٦–١٨ من *تأريخ بغداد*) بيروت د. ت.، ١٦/١٣٧ (رقم ٥٤).

أبي محمّد الطبريّ، أبي يوسف الطبريّ، وجدّه، أبي خلف الطبريّ.[٨٦] ووفقًا للمعلومات المجموعة من *ذيل* (ابن) السمعانيّ، فإنّ هذا الحفيد، أبا محمّد عبد الملك بن محمّد السَّلْميّ الطبريّ، قد درس الفقه الشافعيّ في المدرسة النظاميّة في نيسابور، عندما «لاح له شيء»، حسب عبارة (ابن) السمعانيّ، فغادر نيسابور بعدها ليستقرّ في مكّة ويعيش هناك مجاورًا الكعبة.[٨٧] ويُقال إنّه ربّما روى في بغداد، بينما هو متّجه إلى مكّة، أحاديث تلقّاها أبوه عن القاضي أبي عمر الهاشميّ البصريّ (ت. ٤١٤/ ١٠٢٤).[٨٨] وبعد أن استقرّ في مكّة عاش فيها مجاورًا أربعين عامًا، وقد عُرف بحياةٍ زاهدةٍ أمضاها في الصلاة وقهر النفس،[٨٩] «وكان يلبس الخشن، ويأكل العشب» كما يقول (ابن) السمعانيّ، فأمضى أيّامه صابرًا راجيًا ثواب الآخرة. وصار يُسمّى «شيخ الحرم» (أي مكّة)، ورُويت عنه أخبار في التقوى. ويذكر الذهبيّ أنّ وفاته كانت في مكّة في العقد الواقع في ٥٢١/١١٢٧–٥٣٠/١١٣٦.[٩٠]

٣. مخطوطة *سلوة العارفين وأُنس المشتاقين*

مخطوط *سلوة العارفين وأُنس المشتاقين* محفوظ في دار الكتب المصريّة في القاهرة. وينتمي إلى مجموعة طلعت باشا وهو مدرج في فهرست هذه المجموعة تحت قسم التصوّف باسم: مخطوط طلعت، تصوّف ١٥٥٣ (ميكروفيلم رقم ٧٣٩٩).

[٨٦] ابن النجّار، *ذيل تأريخ بغداد*، ١٦/ ١٣٧ (رقم ٥٤). يذكر ابن النجّار أيضًا اسمَي كمار (كمال؟) ونصر، وهما ابنا رجل يُدعى ناصر بن نصر الحدّاديّ، وقد نشط في مدينة مراغة في أذربيجان، وقد عُرفا بأنّهما تلميذان عند أبي محمّد الطبريّ.

[٨٧] الذهبيّ، *تأريخ الإسلام*، السنوات ٥٢١–٥٤٠، ١٩٣.

[٨٨] هو أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد بن العبّاس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب الهاشميّ العبّاسيّ البصريّ (ت. ٤١٤/ ١٠٢٤)، وهو الذي أرجع نسبه إلى عبد الله بن العبّاس (ت. ٦٨/ ٦٨٧)؛ انظر الذهبيّ، *سِير*، ١٧/ ٢٢٥–٦؛ نفسه، *تأريخ الإسلام*، السنوات ٤٠١–٤٢٠، ٣٥٦.

[٨٩] يؤكّد ابن كثير هذه المجاورة في مكّة لمدّة أربعين عامًا، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (وُلد حوالي ٧٠٠/ ١٣٠٠، تُوفّي ٧٧٤/ ١٣٧٣)، *طبقات الشافعيّة*، تحقيق عبد الحفيظ منصور، بنغازي وبيروت ٢٠٠٤، ٦٠٤ (رقم ٦٣٩).

[٩٠] الذهبيّ، *تأريخ الإسلام*، السنوات ٥٢١–٥٤٠، ١٩٣–١٩٤.

وهو نسخة فريدة، إذ لا علمَ لنا بنسخة أخرى لهذا الكتاب. ويتألّف من ١٨٤ ورقة في كلّ واحدة منها ٢٥ سطرًا. وهو كامل ومخطوط بخطّ النسخ، والنصّ مضبوطٌ بشكل كامل. ولمّا كانت أوراقه مجموعة ومجلّدة على شكل كتاب، يبدو أنّه أُعيد تجليدها مرّة ثانية منذ وقت بعيد. ويظهر عنوانها في الورقة الأولى (ص ١أ)، وقد أُضيف بخطّ يد لاحقة، ولا ذكر للعنوان في تختيم الكتاب (ص ١٤٨أ). وقد أنهى الكاتب وضع الكتاب في ربيع الثاني من عام ١٠٦٧/٤٥٩، حسبما ذُكر في التختيم. وقد نسخه الخالديّ عام ١٠٦٨/٤٦٠. ولا نعرف شيئًا عن هذا الناسخ، غير أنّ شخصًا آخر أضاف اسمه كاملًا في التختيم وهو أحمد بن نوشتكين الخالديّ. وفي نهاية كلّ صفحة يمنى إشارةٌ إلى الكلمة الأولى من الصفحة التي تليها، الأمر الذي يؤكّد صحّة ترتيب الصفحات. ويجد القارئ تصحيحات بخطّ الناسخ بين الفينة والأخرى في الهوامش، الأمر الذي يشهد على شديد دقّته. غير أنّه لا ملاحظات في الهوامش تدلّ على مقابلة منهجيّة مع مخطوط ثانويّ. وليس هذا بالأمر المفاجئ، ذلك أنّه يُرجَّح أن يكون هذا المخطوط منسوخًا عن مخطوط الكاتب الأصليّ. فمن الوارد جدًّا أن تكون النسخة الفريدة التي بين أيدينا هي تلك التي ذكر السبكيّ أنّه اطّلع عليها شخصيًّا.[91] ولا شكّ في أنّ المخطوط الذي بين أيدينا مخطوط ثمين كُتب بخطّ جميل منتظم يعكس شكلًا متقنًا ونموذجًا رائعًا لفنّ الخطّ الإسلاميّ في القرن الخامس/الحادي عشر.

لا يُظهِر المخطوط أيّ أثر لملاحظات هامشيّة أو تعليقات بين السطور، باستثناء مقطع صغير من الخربشات في هامش ص ٣أ. غير أنّ في صفحة العنوان عددًا لا بأس به من الملاحظات والتذكرات (ص ١أ) كتلك التي نراها في محاذاة التختيم وما بعده (ص ١٨٤أ). ويظهر أنّ الورقة الأولى من المخطوط قد تضرّرت على مرّ العصور، وقد استبدلها شخصٌ مجهول قبل القرن الحادي عشر/السابع عشر. مع ذلك، فإنّ لبعض هذه الملاحظات، علاوة على تلك المخربَشة في صفحتَين مضافتَين في آخر المخطوط، شيئًا من الأهمّيّة من حيث تاريخ المخطوط ومطالعته. ولا أهمّيّة تُذكر لما

[91] السبكيّ، *طبقات الشافعيّة الكبرى*، ٧٦/٣.

أضافه بعض اللاحقين من أبيات، وبعضُ أمناء المكتبات من ملاحظات متعلّقة بالفهرسة.

قد يكون من المفيد التوقّف عند بعض التذكرات التي ترد في الكتاب، وتفسيرُ العنوان البديل للنصّ في الصفحة (١أ). تشير تذكرة أحد القرّاء في الصفحة (١٨٤أ)، والعائدة إلى عام ٥٩٨/١٢٠٢، إلى النحويّ المشهور أبي الحرم مكّيّ بن ريّان بن شبّة الماكسينيّ الموصليّ (ت. ٦٠٣/١٢٠٧)،[٩٢] الذي درس النصّ وأملاه على ناسخ قد يُقرأ اسمه على أنّه مودود بن كَي أرسلان. وتشير ستّ ملاحظات دالّة على ملكيّة المخطوط - أربع منها في صفحة العنوان، وواحدة في هامش صفحة ٨٠أ، وأخرى في الصفحة التي تلي صفحة التختيم - تشير إلى رجل يُدعى نصريّ بن أحمد الحُصريّ الحسينيّ البكريّ الذي سجّل تاريخ ملكيّته للمخطوط على أنّه من ١٠٧٤/١٦٦٣-١٦٦٤ إلى ١٠٧٥/١٦٦٤-١٦٦٥. وأضاف قصيدة طويلة بخطّ يده في الصفحة الإضافيّة، ١٨٦أ. وقد سُجّل في الصفحة الإضافيّة ذات الرقم ١٨٥ب، ثلاثةُ تواريخ متقاربة لتواريخ ولادة أولاد الشخص المذكور آنفًا، وهم ابن، واسمه محمّد سعيد، وُلِد في محرّم من عام ١٠٨١/١٦٧٠، وابنة، اسمها أمة الله، وُلدت عام ١٠٨٦/١٦٧٥، وابن آخر، اسمه مصطفى أبو الوفاء، وُلد عام ١٠٨٨/١٦٧٧. وقد سُجّل في الصفحة نفسها (١٨٥ب) عام ١٠٧٤/١٦٦٤ على أنّه تاريخ ولادة رجل يُدعى عبد الحليم، وقد يكون هذا التدوين بخطّ امرأة. وقد سُجّل بخطَّين آخرَين ولادة رجل يُدعى محمّد، وهو في جمادى الأولى من عام ١٢٧٠/كانون الثاني من عام ١٨٥٤. وتحدّد ملاحظة أخرى (١٨٤ب) - وقد انمحى جزء منها - التاريخ الذي وُهب فيه الكتاب وقفًا، وذلك في عام ٨٦٤/ ١٤٦٠. ولم يُحفظ اسم المكتبة أو المؤسّسة التي وُقف لها الكتاب. أخيرًا، يجد القارئ تحت التختيم مباشرة ملاحظةً تشير إلى أنّ الكتاب انتقل إلى ملكيّة رجل اسمه أبو عبد الله محمّد بن أبي خلف بن أبي يوسف الأرّجانيّ ثمّ الهمذانيّ (١٨٤أ). وقد يكون هذا الشخص حفيدَ أبي خلف الطبريّ، الذي يُحتمَل أنّه من أوصل المخطوط إلى مكّة حوالي نهاية القرن الخامس/الحادي عشر.

[٩٢] الذهبيّ، سِير، ٢١/٤٢٥.

وتقترح ملاحظة لافتة، كُتبَت فوق عنوان الكتاب في صفحة الغلاف بخطّ شخص مجهول، عنوانًا بديلًا هو: *تحفة الطالبين في أحوال السلف الصالحين*. وتضيف تعليقًا يقول: «كتاب جليل في علم التصوّف الأصيل». علاوة على ذلك، تسجلّ الملاحظة اسم الكاتب على أنّه: الإمام أبو خلف محمّد بن عبد الملك الطبريّ. والعنوان البديل عنوان مختلَق ولا يُنسب لأيّ كاتب آخر معروف. لكن علينا أن نتوقّف عند الورقة الأولى من المخطوط التي تعرّضت إلى الضرر عبر العصور وأُضيفت بدلًا منها ورقةٌ فيها صفحة العنوان (١أ) ومقدّمة إلى النصّ (١ب). فتسجّل هذه الورقة – التي كُتبت بخطّ مختلف عن الذي في سائر المخطوط – العنوانَ في الصفحة ١أ على أنّه *سلوة العارفين وأُنس المشتاقين*، وتعيد في الصفحة ١ب صياغة المقدّمة بناءً على المخطوط الأصليّ. ومع الأسف، تمّت إعادة الصياغة هذه بشكل متسرّع أدّى إلى إسقاط بعض الكلمات من ضمنها عنوان الكتاب. وقد أُضيفت بعض الكلمات بين السطور – بخطّ غير واضح – لتعويض هذه النواقص، وأُضيف العنوان الفعليّ في هامش المقدّمة بالخطّ الآنف ذكره.

يبدأ نصّ *سلوة العارفين وأُنس المشتاقين* بمقدّمة قصيرة (١ب) ثمّ يُقسم إلى اثنين وسبعين بابًا (٢أ – ١٨٣ب). تقول المقدّمة: «فهذا كتاب جليل من أفضل ما صُنّف في علم التوحيد، وأجلّ ما اعتمده بالتفهّم والتحفّظ كلُّ سالك ومريد، سمّاه سلوة العارفين وأنس المشتاقين، ذا عبارات رائقة ومعانٍ حسنة فائقة، فيه إيضاح طريق العارفين والموحّدين، وإبانة مناهج السالكين والمتجرّدين والواصلين، مرتّبًا على اثنين وسبعين من الأبواب، محويّة على لباب اللباب من كلام أولي الألباب من الأولياء والأحباب المقبلين على ربّ الأرباب والمبتهجين بالملك الوهّاب، نسأله تعالى رفع الحجاب، والدخول في سلكهم إنّه كريم توّاب».

رُتّبت أبواب *سلوة العارفين* حسب الموضوعات المفتاحيّة للمصطلحات الصوفيّة واحدًا تلو الآخر، ويمتدّ كلّ باب على ما يقارب ورقتين (أربع صفحات). ويتناول الكاتب، بشكل عامّ، مصطلحًا صوفيًّا واحدًا أو مصطلحَين اثنين في كلّ باب. غير أنّه يجمع في بعض الحالات – ولا سيّما في الأبواب الأخيرة من الكتاب – عددًا من

المصطلحات في باب واحد، كما في الباب رقم ٤٤، و٥١، و٥٢، و٥٣، و٥٤، و٥٧، و٦٦. وتتخلّل نثرَ الكتاب – وهو نثر سهل – أبياتٌ من الشعر بين الفينة والأخرى. ونجد بعض الاستثناءات التي تطول فيها الأبواب بشكل كبير نسبيًّا، كما في الباب رقم ٥٩، الذي يروي كرامات الصوفيّين؛ والباب رقم ٦٨، الذي يقدّم عيّنات من الشعر الصوفيّ؛ والباب رقم ٦٩، الذي يركّز على مكاتبات الصوفيّين؛ والباب رقم ٧٠، الذي يروي رؤى الصوفيّين. ويقدّم الفصل الأوّل تعريفًا مختصرًا للتصوّف والصوفيّين. ويتميّز الباب الأخير والأساسيّ عن غيره من الأبواب، فيتكلّم الكاتب فيه على سِيَر الصوفيّين متمّمًا الكتاب برسم حيوات الصوفيّين وتعاليمهم (١٥٣أ – ١٨٣ب). ويبدأ كلّ باب بالعبارة نفسها: «في بيان معنى» ثمّ يضيف الكاتب المصطلح الصوفيّ المحدَّد الذي سيتناوله. ويعدّد الكاتب في المقدّمة عناوين الأبواب، ويختم لائحة الأبواب بالملاحظة الآتية: «وسأذكر في كلّ باب ما يليق به بتوفيق الله عزّ وجلّ». (٣أ).

ويُذكر موضوع كلّ باب في عنوانه كما يأتي:

١ التصوّف ونعت الصوفيّة
٢ التوحيد
٣ التوبة
٤ الزهد
٥ الورع
٦ التقوى
٧ الخوف
٨ الرجاء
٩ الخشوع والتواضع
١٠ معرفة النفس
١١ نعت القلب
١٢ الهوى

١٣ صفة الدنيا
١٤ الوقت
١٥ المجاهدة
١٦ الاستقامة
١٧ المراقبة
١٨ الخلوة والعزلة
١٩ الصمت
٢٠ القناعة
٢١ الرضا
٢٢ الصبر
٢٣ الجوع
٢٤ التوكّل
٢٥ الجود والسخاء والإيثار
٢٦ الصدق
٢٧ العبوديّة
٢٨ الحرّيّة
٢٩ الفتوّة والمروّة
٣٠ الحياء
٣١ الغيرة
٣٢ الذكر
٣٣ الشكر
٣٤ حسن الظنّ بالله
٣٥ الخُلق
٣٦ اليقين
٣٧ المعرفة
٣٨ الإخلاص

٦٥ آداب الفقراء في صحبتهم سفرًا وحضرًا
٦٦ الحكمة والموعظة وحقائق الأحوال
٦٧ أدعيتهم
٦٨ بعض ما يُنشد من أشعارهم
٦٩ مكاتباتهم
٧٠ رؤيا القوم
٧١ وصاياهم وذكر أحوالهم عند الخروج من الدنيا
٧٢ طبقات أئمّة الصوفيّة

وقد اختُصر كتاب *سلوة العارفين* لأبي خلف الطبريّ، في وقت لاحق، تحت عنوان *خلوة العاكفين* المحفوظ في مخطوطَين: لايبزيغ ٨٤٤/ ٢ (LEIPZIG) وحلب ٢٥، وقد نُسخ الأوّل في ١٣٣٩/٧٤٠ والثاني عام ١١٠٣/ ١٦٩٢.[٩٣]

مخطوط لايبزيغ ٨٤٤/ ٢ (من صفحة ٤٢أ إلى صفحة ١١٦أ؛ نُسخ في ربيع الثاني من عام ٧٤٠ للهجرة؛ انظر:

K. Vollers, *Katalog der islamischen, christlish-* و *GAL* SI, 773 *orientalischen, jüdischen und samaritanischen Handschriften der Universität 274s-Bibliothek zu Leipzig*, Leipzig 1906, p. 274).

هو الجزء الثاني من مخطوط يجمع غير كتاب. غير أنّ إحالة فوليرز (Vollers) المتعلّقة بنصّ *خلوة العاكفين* ليست دقيقة بشكل كامل من حيث ترقيم الورقات، وهُويّة الكاتب، وتاريخ نسخ المخطوط. يشير فوليرز إلى أنّ النصّ غير معنوَن وأنّه يمتدّ من الصفحة ٤٢أ إلى الصفحة ١١٦ب، وقد سُجّل تاريخ النسخ على أنّه في شهر ربيع الأوّل من عام ٧٧٠. غير أنّ النصّ الممتدّ من الصفحة ٩٠أ إلى الصفحة ١١٦أ لا علاقة له بكتاب *خلوة العاكفين*، بل هو مقتطفات من كتب أخرى. أمّا فيما يتعلّق

[٩٣] وهو مطبوع الآن: *خلوة العاكفين*: أبو خلف الطبريّ، *منتخَب من سلوة العارفين للإمام أبي خلف الطبريّ (ت. حوالى ١٠٧٧/٤٧٠)*، تحقيق ودراسة بلال الأرفه لي وجرهارد بورينغ، بيروت، ٢٠١٣. (المترجم).

بترتيب أوراق *خلوة العاكفين* وترقيمها، فيجد القارئ خطأ في موضع اثنتين منها، وأنّ ورقةً أو اثنتين قد فُقدتا في عمليّة تجليد الكتاب وإعادة تجليده. وبالتالي، في المخطوط شوائب. في الواقع، يبدأ نصّ *خلوة العاكفين* في الصفحة ٤٢ب، ويستمرّ حتّى الصفحة ٨٥ب. ثمّ يبدو أنّ الورقة ١٨٦أ/ب قد وُضعت في غير مكانها لأنّ تكملةَ نصِّ الصفحة ٨٥ب موجودة في الورقة ١٨٧أ/ب، ويستمرّ النصّ في الورقة ١٨٨أ/ب. أخيرًا، ينقص المخطوطَ ورقةٌ أو اثنتان، وينتهي النصّ في الصفحة ١٨٦أ. وقد كُتب المخطوط بحبر أسود، ومُيّزَت بعضُ العناوين والإحالات إلى أسماء أو أبيات شعر بحبر أحمر. وفي الصفحة ثلاثة عشر سطرًا، وقد كُتب المخطوط بخطّ نسخيّ غير منتظم ولكن واضح، مع بعض الحركات المُضافة بانتظام، من دون ضبط النصّ كاملًا.

تقول المقدّمة في الصفحة ٤٢ب: «الحمد لله الذي عطّر الوجود بعرف العارفين وأحيا القلوب بذكر الطائفين منهم والعاكفين، وصلّى الله على نبيّه سيّدنا محمّد ملاذ الطالبين وملجأ الخائفين، وعلى آله وصحبه الذين كانوا متّبعين لأقواله وعند أمره واقفين، وسلّم تسليمًا كثيرًا». ثمّ يُذكر هدف الكاتب في الصفحة ٤٢ب من وضع المختَصر «تبصرةً للمريد» و«تذكرةً» ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٥٠ : ٣٧). ويبدأ نصّ الكتاب في الصفحة ٤٢ب بقوله: «وبعد فهذه أوراق من كتاب *سلوة العارفين*، تأليف الإمام أبي خلف محمّد بن عبد الملك الطبريّ رحمه الله تعالى».

وينتهي نصّ *خلوة العاكفين* في الصفحة ١٨٦أ مع قول سهل بن عبد الله التستريّ (ت. ٢٨٣/٨٩٦): «نهاية الأولياء رحمهم الله تعالى بداية الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين». ثمّ يتلو هذا التختيمُ في الصفحة نفسها: «هذا آخر ما انتقيته من كتاب *سلوة العارفين وأُنس المشتاقين*، تصنيف الشيخ الإمام أبو[٩٤] خلف محمّد بن عبد الملك الطبريّ رحمه الله تعالى. وكملت هذه الأوراق على يد منتقيها وكاتبها الراجي من الله غفران ذنبه يوسف بن فتّوح بن داود. وكان الفراغ منها مستهلَّ ربيع الآخر من عام أربعون وسبعمائة. الحمد لله وحده وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم».

[٩٤] كذا في الأصل، والصواب: أبي.

وبدلًا من أن يبقى مجهول الهُويّة، يُعرّف مؤلّف المختصَر نفسَه بأنّه يوسف بن فتّوح بن داود؛ ويذكر بكلّ وضوح أنّه منتقي هذه المقتطَفات وكاتبُ مختصَر *سلوة العارفين وأُنس المشتاقين* لأبي خلف الطبريّ. أمّا كونه كاتبًا غامضًا فمردّه إلى أنّ كتب التراجم الإسلاميّة الأولى لم تذكر ترجمة له أو تاريخًا لوفاته. وممّا قد يشير، أيضًا، إلى أنّ يوسف بن فتّوح بن داود هو المؤلّف الفعليّ للمختصَر لا مجرّد ناسخ له هو غيابُ اسمه أو اسم شخص آخر بعد العبارة الختاميّة الاعتياديّة: «وكان الفراغ منها»، إذ عادة ما يدوّن نسّاخ المخطوطات العربيّة أسماءهم بعد هذه العبارة.

علاوة على ذلك، تسلّط تذكرة سماعٍ – (٨٦ب و٨٩أ/ب) مسجّلة بخطّ طالب مجهول بعد التختيم مباشرةً – الضوءَ على الطريقة التي اتّخذ بها هذا المختصَر حُلّته النهائيّة. تبدأ هذه الملاحظة في الصفحة ٨٦ب بكلمات افتتاحيّة مأثورة عن عبد الله بن جعفر (ت. ٨٠/ ٦٩٩ أو ٨٥/ ٧٠٤)، ابن أخ الخليفة عليّ بن أبي طالب (ت. ٤٠/ ٦٦١)، متعلّقةٍ بالصحبة المثاليّة بين العلماء – وهي الصحبة التي دُرس فيها الاختصار. ثمّ يقول الطالب «وقرأت هذا الكتاب المنقولَ منه» على الشيخ الإمام العالم العلّامة البارع المتقن المحقّق الحافظ البارز شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن طريف الغزّيّ (ت. ٧٨٤/ ١٣٨٣)،[٩٥] ويذكر أنّه حاز إجازةً خطّيّة منه لروايته. ثمّ يتابع نصّ التذكرة – التي انمحى جزء منها بسبب الماء – في الصفحة ٨٩ب، مشيرًا إلى صاحب العلم أبي حفص عمر، ابن الأديب البارز بدر الدين الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب الحلبيّ الشافعيّ (ت. ٧٧٩/ ١٣٧٧–١٣٨٠).[٩٦] وقد نسخ أبو حفص عمر نسخةً من الاختصار لاستعماله الشخصيّ، واشتهر بين معاصريه بفضله، فقرأه كاملًا على التلميذ قراءة حسنةً، وعَنْوَنه بـ*خلوة العاكفين*. ومنذ ذلك الوقت، صار مختصَر كتاب *سلوة العارفين وأُنس المشتاقين* ليوسف بن فتّوح بن داود يُعرف بـ

[٩٥] تقيّ الدين أبو الطيّب محمّد بن أحمد القرشيّ الفاسيّ (ت. ٨٣٢/ ١٤٢٩)، *تعريف ذوي الألى بمن لم يذكره الذهبيّ من النبلاء*، بيروت ١٩٩٨، ٣١٩؛ وشمس الدين أبو الفضل أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ، *إنباء الغُمر بأبناء العُمر*، ٩ أجزاء، بيروت ١٣٨٧/١٩٦٧، ٢/ ١١٧؛ والعسقلانيّ، *الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة*، ٤ أجزاء ومُلحَق، بيروت ١٤١٨/ ١٩٩٧، ٣/ ٢٧٩.

[٩٦] الفاسيّ، *تعريف*، ٢٧٥.

خلوة العاكفين، وهو عنوان لم يُعطَ لكتاب من قبل. ويُحتمل أن يكون هذا قد حدث في حلب، غير أنّه لا ذكرَ لذلك في المخطوط.

مخطوط حلب ٢٥ (١٤٧ ورقة، ١١٠٣هـ). سُجّل هذا المخطوط في فهرست مكتبة محمّد كمال، *فهرس المخطوطات المودعة في خزانة معهد التراث العلميّ العربيّ*، حلب د.ت.، ص ٧٣. علاوة على ذلك، يذكر *فهرس المخطوطات المصوَّرة في خزانة معهد التراث العلميّ العربيّ*، حلب ١٩٨٧ – وهو فهرست ميكروفيلم المكتبة نفسها الذي أعدّه محمّد عزّت عمر – يذكرُ ميكروفيلمَ المخطوط تحت الرقم ١٨٨٠. والمخطوط محفوظ في مكتبة معهد التراث العلميّ العربيّ التابع لجامعة حلب، حلب، سوريا. وقد كُتب بخطّ نسخيّ جميل باللونَين الأسود والأحمر، وفيه ١٤٧ ورقة. وعلى الرغم من الجهود المبذولة، ثبت أنّه لا مجال للحصول على نسخة أو ميكروفيلم لهذا المخطوط. وفي زيارة سريعة للمكتبة، استطاع يوسف كايسوِت أن يعاين المخطوط، فنقل مقدّمته، علاوة على بداية النصّ وخاتمته، وهي كلُّها مطابقة لما في مخطوط لايبزيغ ٨٤٤/٢. ويتّضح من ملاحظاته عن التختيم أنّ عمليّة النسخ تمّت يوم الخميس الواقع في السابع عشر من شهر شوّال عام ١١٠٣ (١٤ يوليو، ١٦٩٢). وقد فحص يوسف كايسوِت محتوى مخطوط حلب ٢٥ وأشار إلى التشابه الشديد بين مخطوط حلب ٢٥ ومخطوط لايبزيغ ٨٤٤/٢. فلا شكّ في أنّ المخطوطَين نسختان للنصّ ذاته.

اتّبع مؤلّف *خلوة العاكفين* ترتيبَ أبواب *سلوة العارفين*، منتقيًا عيّنة صغيرة من الأقوال الصوفيّة في كلّ باب، غير أنّه ترك اختصار غير واحد من الأبواب. ويقتصر عمله بشكل عامّ على اختصار عدد صغير من مقاطع *سلوة العارفين*، ويصل مختصَره إلى ما يقارب عشرة بالمئة من حجم *سلوة العارفين*، وينتهي بباب الولاية (٨٦أ)، ولا يذكر شيئًا من الأبواب التي بعده، ومن ضمنها الباب الأخير المتعلّق بسِيَر الصوفيّين. ويلتزم مؤلّف *خلوة العاكفين* بنقل ما في *سلوة العارفين* حرفيًّا، فلا يعيد الصياغة. علاوة على ذلك، يبدو تفضيله اقتباسَ شعر الصوفيّين على اقتباس نثرهم واضحًا. وتظهر العناوين الآتية في *خلوة العاكفين*: الصوفيّ (٤٢أ)، التوبة (٤٣ب)، الورع

(٤٤أ)، التقوى (٤٤ب)، الخوف (٤٥أ)، الرجاء (٤٦ب)، الخشوع (٤٧أ)، معرفة النفس (٤٨أ)، القلب (٤٨ب)، الهوى (٤٩أ)، الدنيا (٥٠أ)، الوقت (٥٢أ)، المجاهدة (٥٣أ)، الاستقامة (٥٣أ)، المراقبة (٥٤أ)، الخلوة والعزلة (٥٤ب)، الصمت (٥٥أ)، القناعة (٥٦ب)، الرضا (٥٧ب)، الصبر (٥٩أ)، الجوع (٦٠أ، وقد ذُكر خطأً على أنّه الخشوع)، التوكّل (٦١ب)، الإيثار (٦٢ب)، الصدق (٦٣ب)، العبوديّة (٦٤ب)، الحرّيّة (٦٥ب)، الفتوّة (٦٦أ)، المروّة (٦٧أ)، الحياء (٦٧ب)، الغَيرة (٦٨ب)، الذكر (٦٩ب)، الشكر (٧٠ب)، حسن الظنّ (٧٢أ)، الخُلُق الحسن (٧٤أ)، اليقين (٧٥ب)، المعرفة (٧٦ب)، الإخلاص (٧٨أ)، المحبّة (٧٨ب)، الشوق (٨٠أ)، المشاهدة (٨٠ب)، القرب (٨١أ)، الأُنس (٨٢أ)، الفناء والبقاء (٨٣ب)، القبض والبسط (٨٤أ)، الصحو والسكْر (٨٤ب)، الجمع والتفريق[٩٧] (٨٤ب)، التفريد (٨٥أ)، الوجد (٨٥ب)، الاستتار والتجلّي (٨٧أ)، اللوائح (٨٧ب)، اللوامع (٨٨أ)، الخواطر (٨٨أ)، سماع الأشعار (٨٨ب)، الولاية (٨٦أ)، وهنا ينتهي النصّ.

أخيرًا، تجدر الإشارة إلى احتمال وجود مخطوط آخر لكتاب *سلوة العارفين وأُنس المشتاقين* مخبَّأ في مكتبة مخطوطات في العراق. فيسجّل الفيكنت ف. دي طرّازي وجوده تحت اسم «مخطوط النجف»، وقد أشار إليه في مراجعته للمخطوطات المحفوظة في هذه المكتبة، وهي «مكتبة آل كاشف الغطاء» في النجف، العراق.[٩٨] ومع الأسف، لم نتمكّن إطلاقًا من الوصول إلى المخطوط أو الحصول على ميكروفيلم له.

٤. موقع *سلوة العارفين* في الأدب الصوفيّ

لاحظ السبكيّ أنّ *سلوة العارفين* (المؤلَّف في ١٠٦٧/٤٥٩) يشبه بشكل عامّ *رسالة* القشيريّ (وُلد ٩٨٦/٣٧٦، تُوفّي ١٠٧٢/٤٥٦) التي أتمّها عام ٤٣٧/ ١٠٤٥–

[٩٧] كذا في الأصل، والصواب: التفرقة.

[٩٨] ف. دي طرّازي، *خزائن الكتب العربيّة في الخافقَين*، ٤ أجزاء، بيروت ١٩٤٧–١٩٤٨، ٣٠٧/١؛ غير أنّه نسبه، خطأً، إلى أبي عبد الرحمٰن السلميّ.

١٠٤٦. إذ يجمع كلٌّ من *الرسالة* و*سلوة العارفين* مجموعة من الأبواب في موضوعات صوفيّة وبابًا في سيَر الصوفيّين. وتشكّل *رسالة* القشيريّ – كما هو حال *تهذيب الأسرار* للخركوشيّ (ت. ٤٠٧/١٠١٦)[٩٩] و*طبقات الصوفيّة* لأبي عبد الرحمٰن السلميّ (ت. ٤١٢/١٠٢١) –[١٠٠] أحد المصادر الثلاثة الرئيسة لـ *سلوة العارفين*. وتشكّل المقاطع التي يقتبسها أبو خلف الطبريّ من هذه الأعمال الثلاثة، أي *الرسالة*، و*تهذيب الأسرار*، و*طبقات الصوفيّة*، نصفَ المقاطع المجموعة في *سلوة العارفين*. فقد اختار أبو خلف الطبريّ اقتباس ١١٣٩ مقطعًا من *رسالة* القشيريّ، و٨٢٤ مقطعًا من *تهذيب الأسرار* للخركوشيّ. وقد وُضعت هذه المصنَّفات الصوفيّة الثلاثة، كما هو حال *سلوة العارفين*، على يد مؤلّفين عاشوا في نيسابور واشتغلوا فيها – ومسقط رأس أبي خلف الطبريّ – وهم جميعًا من أهل السنّة والجماعة، أشاعرة العقيدة شافعيّو المذهب.

أمّا مجموع المقاطع المقتبَسة حرفيًّا من *طبقات الصوفيّة* لأبي عبد الرحمٰن السلميّ (٦٨٧ مقطعًا) فيرد في الباب الأخير من *سلوة العارفين* (الباب رقم ٧٢) الذي يقدّم نماذج موجزة من تراجم مشايخ صوفيّين عاشوا في القرن الثالث/التاسع إلى الخامس/الحادي عشر. أمّا سائر الأقوال المقتبَسة من *طبقات الصوفيّة* للسلميّ، والمذكورة في أبواب أخرى من *سلوة العارفين* (٣٩ مقطعًا) فلم تُنتقَ من هذا المصدر مباشرة، بل نقلها أبو خلف الطبريّ من *رسالة* القشيريّ أو *تهذيب الأسرار* للخركوشيّ. ويُمكن ردُّ عدد من المقاطع النصّيّة المذكورة في *سلوة العارفين* إلى

[٩٩] أبو سعد عبد الملك بن محمّد الخركوشيّ (في الفارسيّة: الخرگوشيّ، ت. ٤٠٧/١٠١٦)، *كتاب تهذيب الأسرار*، تحقيق بسّام محمّد بارود، أبو ظبي ١٩٩٩؛ والخركوشيّ، *تهذيب الأسرار في أصول التصوّف*، تحقيق سيّد محمّد عليّ، بيروت ١٤٢٧/٢٠٠٦. في الواقع، ليست نسخة *تهذيب الأسرار في أصول التصوّف* التي حقّقها سيّد محمّد عليّ سوى إعادة إنتاج لـ*كتاب تهذيب الأسرار* الذي حقّقه بسّام محمّد بارود. للاطّلاع على الخركوشيّ/الخرگوشيّ انظر أيضًا:
A. J. Arberry, «Khargūshī's Manual of Ṣūfism,» *BSOAS* 9 (1937-39), 345-9; F. Sezgin, *GAS* I, 670; C. Melchert, «Khargūshī, *Tahdhīb al-asrār*», *BSOAS* 73 (2010), 29-44.

[١٠٠] أبو عبد الرحمٰن محمّد بن الحسين السلميّ (ت. ٤١٢/١٠٢١)، *طبقات الصوفيّة*، تحقيق ج. بيدرسون (J. Pedersen)، ليدن ١٩٦٠؛ تحقيق نور الدين شُرَيبة، القاهرة ١٣٨٩/١٩٦٩.

تفسير السلميّ *حقائق التفسير* (١٠٠ مقطع)، وإلى رسائل أخرى وضعها السلميّ (١٦٥ مقطعًا).[١٠١] وقد يدلّ هذا على مطالعة أبي خلف الطبريّ المتقطّعة وغير الممنهجة لأعمال السلميّ الأخرى، لا لـ *طبقات الصوفيّة* فقط. وبناء على هذا، فإنّ معظم مقاطع *سلوة العارفين* التي يبدو أنّها مُختارة من *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء* لأبي نُعيم الإصفهانيّ (ت. ١٠٣٨/٤٣٠) (وهي ٣٠٧ مقطعًا)[١٠٢] قد اختارها أبو خلف الطبريّ في الواقع بشكلٍ غير مباشر من مصادره الأساسيّة.

ونجد بعض مقاطع *سلوة العارفين* في كتاب *اللمع* لأبي نصر السرّاج (ت. ٣٧٨/ ٩٨٨) (١١٧ مقطعًا)[١٠٣] وكتاب *التعرّف لمذهب أهل التصوّف* للكلاباذيّ (ت. ٣٩٠/ ٩٩٠) (٢٧ مقطعًا)[١٠٤]، ويشير هذا إلى أنّ أبا خلف الطبريّ لم يختر هذه المقاطع من هذين المصدرَين بل وجدها مذكورة في *رسالة* القشيريّ *وتهذيب الأسرار* للخركوشيّ. ويُستبعَد أن يكون كتاب *البياض والسواد*[١٠٥] لأبي الحسن عليّ بن الحسن السيرجانيّ (ت. ٤٧٨/ ١٠٨٥) من مصادر أبي خلف الطبريّ في *سلوة العارفين*، غير أنّ عددًا من المقاطع المشترَكة بين *سلوة العارفين* *والبياض والسواد* قد يشير إلى مصدر مشترَك بينهما لم يعد متوفّرًا لنا. عمومًا، إنّ سائر مقاطع *سلوة العارفين* (حوالي ثلث الكتاب)

---

١٠١ أبو عبد الرحمٰن محمّد بن الحسين السلميّ (ت. ٤١٢/١٠٢١)، *رسائل صوفيّة لأبي عبد الرحمٰن السلميّ*، تحقيق ج. بورينغ (G. Bowering) وب. الأرفه لي، بيروت ٢٠٠٩؛ نفسه، *مسائل وتأويلات صوفيّة لأبي عبد الرحمٰن السلميّ*، تحقيق ب. الأرفه لي وج. بورينغ، بيروت ٢٠١٠.

١٠٢ أبو نُعَيم أحمد بن عبد الله الإصفهانيّ (ت. ٤٣٠/١٠٣٨)، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*، ١٠ أجزاء، القاهرة ١٣٥١-١٣٥٧/ ١٩٣٢-١٩٣٨.

١٠٣ أبو نصر عبد الله بن عليّ السرّاج الطوسيّ (ت. ٣٧٨/٩٨٨)، *كتاب اللمع في التصوّف*، تحقيق ر. أ. نيكلسون (R. A. Nicholson)، لندن – ليدن ١٩١٤؛ ترجمه غراملش (Gramlich) للألمانيّة:
R. Gramlich, *Schlaglichter über das Sufitum*, Wiesbaden 1990.

١٠٤ أبو بكر محمّد بن إسحاق الكلاباذيّ (ت. ٣٩٠/ ٩٩٠)، *كتاب التعرّف لمذهب أهل التصوّف*، تحقيق أ. ج. أربري (A. J. Arberry)، القاهرة ١٩١٤؛ ترجمه أربري للإنكليزيّة:
A. J. Arberry, *The Doctrine of the Sufis*, Cambridge 1935.

١٠٥ Bilal Orfali and Nada Saab, *Sufism, Black and White: A Critical Edition of* Kitāb al-Bayāḍ wa-l-Sawād *by Abū l-Ḥasan al-Sīrjānī (d. ca. 470/1077)*, Leiden 2012;

انظر أيضًا:
G. Bowering, «Two Early Sufi Manuscripts,» in *JSAI* 31 (2006), 209-31.

والتي لا يمكن تتبّع أصلها في مصادر متاحة لنا قد اختيرت من مصادر مجهولة بالنسبة إلينا أو مفقودة. وقد يكون عدد كبير من هذه المقاطع المجهولة المصدر أخبارًا نُقلت من مجموعات أخبار تُعنى بالزهد والتصوّف.

أمّا من حيث الحجم، فيشتمل كتاب *سلوة العارفين* على ٣٥٠٠ قولًا وخبرًا في التصوّف، وهو يقارب حجم كتاب *تهذيب الأسرار* للخركوشيّ أو حوالي ثلثَي *رسالة* القشيريّ. ويبدو واضحًا أنّ أبا خلف الطبريّ جمع مادّة *سلوة العارفين* متأثّرًا بكونه عالمًا مقيمًا في نيسابور. وليس في كتابه ما يدلّ على أنّه سافر إلى مكان آخر بحثًا عن مصادر لعمله. ولا دليل أيضًا على أنّه وضع *سلوة العارفين* لتعليم مجموعة معيَّنة من الطلّاب. كان أبو خلف الطبريّ جامعًا استعمل مصادر مكتوبة سابقة لكتابه تداولها ثلاثة علماء بارزين في نيسابور، وسَهُلَ وصوله إليها.

ولا يشير أبو خلف الطبريّ البتّة إلى مصادره التي يدين لها بحصّة الأسد من مضمون *سلوة العارفين*. مثلًا، إنّ أبيات الشعر التي يجمعها أبو خلف الطبريّ في الباب ٦٨ من *سلوة العارفين* تكاد تكون منقولةً حرفيًّا من *تهذيب الأسرار* للخركوشيّ. وكذا في الباب ٦٩ الذي يذكر فيه أمثلة من رسائل الصوفيّين. ويقتبس أبو خلف الطبريّ في كتابه مقاطع كاملة من دون أن يذكر مصادرها. ويبدو أنّه يختار هذه المقاطع بشكل عشوائيّ، فينتقي ما يستحسنه منها. على العموم، إنّ هدف عمله مجرّد وبسيط، وهو تقديم مجموعة من الأقوال والقصص الصوفيّة إلى راعيه التقيّ صاحب السلطة، أبي عليّ حسّان بن سعيد المنيعيّ. وهذا هو سبب ذكر أبي خلف الطبريّ، في مقدّمته على *سلوة العارفين*، أنّه ألّف مجموعة من العبارات والمعاني التي هدفت إلى «إيضاح طريق العارفين والموحّدين وإبانة مناهج السالكين».

ويمكن القول إنّ أقلّ من عشرة بالمئة من نصّ *سلوة العارفين* هو من أقوال أبي خلف الطبريّ نفسه. هذه الأقوال هي بشكل أساسيّ مقدّمات قصيرة للأبواب، يحاول المؤلِّف فيها أن يضع الباب في إطار كلاميّ على المذهب الأشعريّ. ولا يُذكر اسم متكلّم أشعريّ إلّا مرّة واحدة في *سلوة العارفين* (#٢٠)، وذلك حين يشير المؤلّف إلى أبي إسحاق إبراهيم بن محمّد الإسفرايينيّ (ت. ١٠٢٧/٤١٨) الذي كان رأس

المذهب الأشعريّ في نيسابور في السنوات التي كان فيها أبو خلف الطبريّ تلميذًا. وليس في أقوال أبي خلف الطبريّ ما يُظهِر أيّ رؤًى أو أفكار صوفيّة، فهي اعتياديّة وتقليديّة. وبذلك، يُعَدُّ أبو خلف الطبريّ في *سلوة العارفين* جامعًا لأقوال الصوفيّة وأخبارهم، الأمر الذي يتناسب مع تقليد صوفيّ تبنّاه متكلّمون أشاعرة وفقهاء شافعيّة. ولمّا كان التقليد الصوفيّ قد قُبل بشكل واسع في نيسابور في زمن أبي خلف الطبريّ، لم يبذل هذا الأخير جهدًا يُذكر في توثيق صحّة الأقوال والأخبار الصوفيّة بإضافة أسانيدها، بعكس ما قام به القشيريّ في جزء كبير من الموادّ التي ضمّها إلى *الرسالة*. والراجح أنّ غياب الأسانيد في *سلوة العارفين* كان أحد الأسباب التي حالت دون اعتباره أحد الكتب الأساسيّة المعتمدة في التعليم الصوفيّ. ومن شأن هذا أيضًا أن يفسّر عدم نسخ الكتاب على مرّ العصور. وكانت *رسالة* القشيريّ قد اعتُمدت في الأوساط الصوفيّة في زمن أبي خلف الطبريّ، وكانت أكثرَ الكتب التي وُضعت في التعاليم الصوفيّة شهرةً وتقديرًا آنذاك.

وعندما ننظر في نمط اختيار أبي خلف الطبريّ للأقوال الصوفيّة في كتاب مختاراته، نجد تفضيلًا واضحًا للصوفيّين المنتمين لمدرسة التصوّف العراقيّ، ومركزُها بغداد، على أولئك المنتمين لمدرسة التصوّف الخراسانيّ، ومركزُها نيسابور. وقد ذُكر الجُنيد (ت.٢٩٧/ ٩١٠) – الممثّل الرئيس للمدرسة البغداديّة – أكثر من مئتَي مرّة في كتاب المختارات هذا، بينما استُشهد بكلام أبي عثمان الحيريّ (ت. ٢٩٨/ ٩١٠) – الناشر الأساسيّ لتعاليم المدرسة الخراسانيّة – ما يقارب الخمسين مرّة فحسب. علاوة على ذلك، كثر ذكرُ الصوفيّين الآخرين المنتَمين إلى المدرسة البغداديّة: ذُكر كلٌّ من الشبليّ (ت. ٣٣٤/ ٩٤٦)، وذي النون (ت. ٢٤٥/ ٨٦٠)، زهاء تسعين مرّة؛ وذُكر كلٌّ من سهل التستريّ (ت. ٢٨٣/ ٨٩٦)، وأبي سعيد الخرّاز (ت. ٢٧٧/ ٨٩٠–٨٩١)، وأبي الحسين النوريّ (ت. ٢٩٥/ ٩٠٧–٩٠٨)، خمسين إلى ستّين مرّة؛ وذُكر كلٌّ من بشر الحافيّ (ت. ٢٧٧/ ٨٤١) وأبي يزيد البسطاميّ (٢٦١/ ٨٧٤–٨٧٥) زهاء خمس وثلاثين مرّة. في المقابل، يُذكر إلى جانب أبي عثمان الحيريّ من صوفيّي المدرسة الخراسانيّة كلٌّ من أبي حفص الحدّاد (ت. ٢٦٥/ ٨٧٨–٨٧٩) وأبي بكر الواسطيّ (ت. ٣٢٠/ ٩٣٢) زهاء أربعين مرّة. إنّ

غلبة الأقوال الصوفيّة التابعة للجُنيد وممثّلي المدرسة العراقيّة على أقوال الصوفيّين الخراسانيّين تشبه نسبة أقوال الفريقَين في *رسالة* القشيريّ. بناء على ذلك، لا يُمكن تأويل اختيارات أبي خلف الطبريّ لأقوال كتابه *سلوة العارفين* على أنّها نابعة من أجندة خفيّة، أو أنّها تدلّ على تقديمه إحدى هاتين المدرستَين على الأخرى، أو حتّى أنّها تظهر موقفًا للكاتب في التصوّف مثيرًا للجدل. وعندما تؤخذ جوانب *سلوة العارفين* كلُّها في الحسبان، تبقى الخلاصة هي نفسها: يقدّم كتاب مختارات أبي خلف الطبريّ مجموعة من الأقوال والأخبار الصوفيّة المختارة بناءً على ذائقته الشخصيّة، المؤطَّرة بمقاربة كلاميّة أشعريّة، والمصمَّمة لعرض أسلوب الحياة الصوفيّ ومبادئ التصوّف للقارئ وتزكيتها.

من جهةٍ أخرى، لكتاب *سلوة العارفين* لأبي خلف الطبريّ سمات إيجابيّة تشهد لقيمته العلميّة، بصرف النظر عن قلّة أصالته. فالنصّ العربيّ لمخطوط هذه الطبعة على درجةٍ عالية من الدقّة ويكاد يخلو من الأخطاء. وهو في أغلب مواضعه أكثر دقّة من نصوص الطبعات الكثيرة المنشورة لـ *رسالة* القشيريّ، والتي لم تُحَقَّق بعد تحقيقًا علميًّا. وفي عدد من الحالات، يقدّم *سلوة العارفين* نصًّا عربيًّا أكثر موثوقيّة من النصَّين المنشورَين لـ *تهذيب الأسرار* للخركوشيّ. علاوة على ذلك، في *سلوة العارفين* عدد من الأقوال الصوفيّة وعدد لا بأس به من الأخبار التي لا ترد في الكتب الموضوعة في التصوّف قبل هذا الكتاب. إنّ كتاب مختارات أبي خلف الطبريّ جزء لا يتجزّأ من الأدب الصوفيّ العربيّ ويمثّل نهاية قرن من تطوّر هذا الأدب في نيسابور، من منتصف القرن الرابع/العاشر إلى منتصف القرن الخامس/الحادي عشر.

٥. ملاحظات تقنيّة على طبعة النصّ العربيّ

لقد رُوعيت المبادئ الآتية في تحقيق النصّ تحقيقًا علميًّا. نُظّم النصّ حسب الفقرات مع تحديد رقم لكلّ واحدة منها بين هلالَين، وذلك لتسهيل اطّلاع القارئ على الكتاب. ورُقّمت الفقرات بشكل متتالٍ في النصّ لتسهُلَ الإشارة إليها في الفهرست. وتضمّ كلّ فقرة، متى كان ذلك ممكنًا، بندًا أو أكثر، لتُشكّل وحدة نصّيّة، سواء أكانت

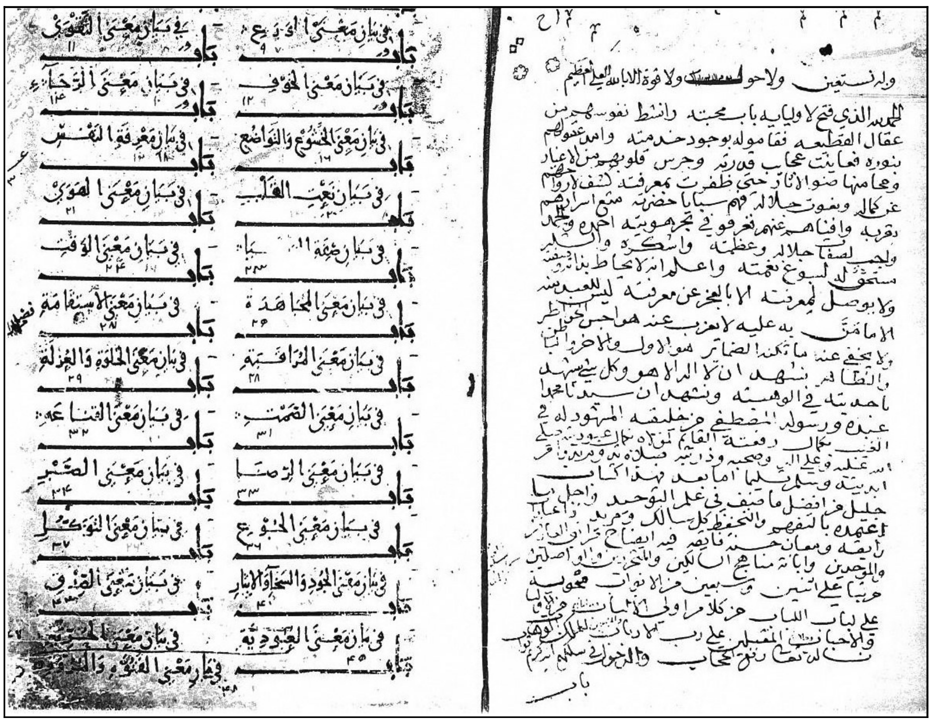
هذه الوحدة مؤلَّفة من أخبار، أم أبيات شعر، أم عناصر لغويّة ومصطلحات صوفيّة. وقد أضيفت بحور الشعر بين هلالَين قبل أبيات الشعر، وزُوّد القارئ برقم السورة ورقم الآية عند نهاية الاقتباسات القرآنيّة التي ضُبطت بشكل كامل.

وقد أُضيفت بعض العلامات المساعدة في النصّ العربيّ بشكل مستمرّ، مثل تشديد الحرف المشدَّد. غير أنّ التشديد قد أُسقط عند اتّصال الحرف المشدَّد الشمسيّ بلام التعريف. وأُضيف التنوين بانتظام في حال النصب، وفي حالي الجرّ والرفع عندما يكون ذلك مساعدًا للقارئ. وأُضيفت حركات للإشارة إلى الأفعال المجهولة أو إلى صيغتَي المتكلّم والمخاطَب عند الحاجة، وذلك بهدف ضبط النصّ. أمّا ما سوى ذلك، فلم تُضَف الحركات إلى متن النصّ إلّا لإزالة التباس أو لتحديد قراءة مفضَّلة على غيرها من القراءات السليمة نحويًّا. ولم تُضَف الحركات إلى أسماء العلم إلّا عندما تقضي حاجة تفادي التباس محتمَل في طريقة لفظ اسم محدَّد. وقد أُضيفت علامات الوقف، كالفواصل والنقاط، إلى النصّ العربيّ عندما يقتضي ذلك معنى جملة محدّدة. وقد فُصل بين القائل ومقولته بنقطتين. كما أُضيفت نقطتان بعد عبارة: «قال بعضهم» أو «قيل» والتي تشير إلى قائل مجهول.

تشير الفهارس إلى أرقام الفقرات في النصّ. ويعدّد فهرست الأسماء المرجعيّاتِ الصوفيّة المقتبَسة أقوالهم في النصّ، علاوة على أسماء الرواة الواردة أسماؤهم في الأسانيد. ويُذكر كلّ اسم بالصيغة الموجَزة التي ورد بها في النصّ، يتلوها بعد علامة المساواة (=) اسمه كاملًا، ويُحدَّد بين هلالَين تاريخ الوفاة على القدر الذي سمح به البحث في كتب التراجم العربيّة. وتضمّ الفهارس أيضًا فهرست الآيات، وفهرست الأحاديث، وفهرست الأشعار، وفهرست الأماكن، وفهرست الاصطلاحات. ويشمل فهرست الأشعار بحورَ الأبيات، علاوة على مطلع كلّ قصيدة وقافيتها. أخيرًا، في الحاشية التابعة لكلّ فقرة من فقرات النصّ المصادرُ التي هي مُستقى موادّ المؤلّف أو التي تضمّ مقاطع مشابهة لما في الفقرة ويمكن إيجادها في مصادر صوفيّة أخرى وُضعت في القرنين الرابع/العاشر والخامس/الحادي عشر.



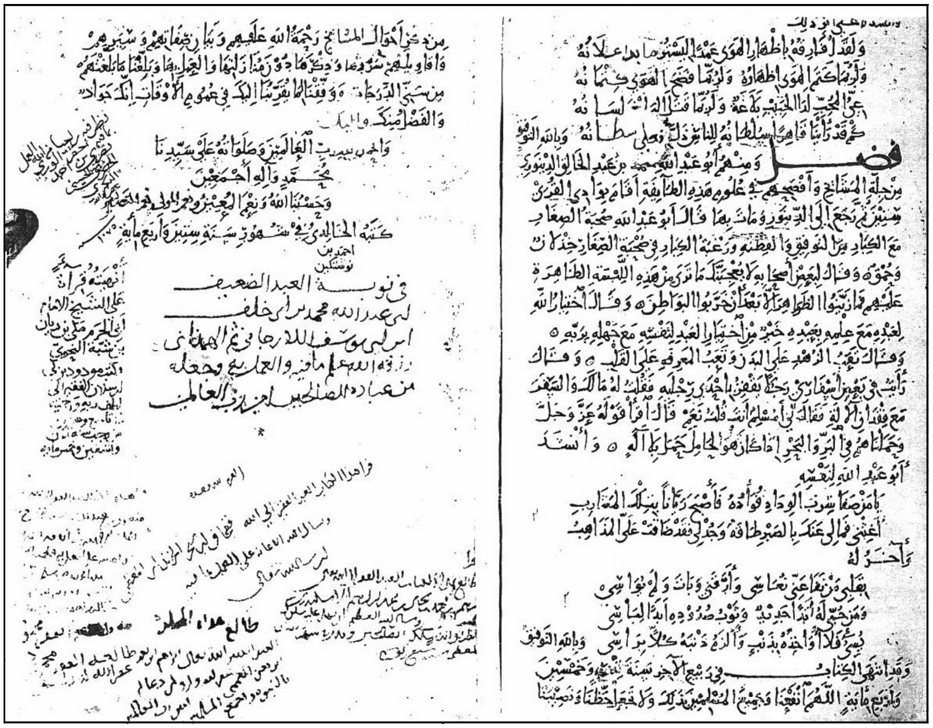
© مخطوط طلعت باشا، تصوّف ١٥٥٣، ورقة ١أ



© مخطوط طلعت باشا، تصوّف ١٥٥٣، ورقة ١ب-٢أ



© مخطوط طلعت باشا، تصوّف ١٥٥٣، ورقة ٢ب-٣أ



© **مخطوط طلعت باشا، تصوّف ١٥٥٣، ورقة ١٨٤ب–١٨٥أ**

سَلوة العارفين وأنس المشتاقين

تأليف الإمام أبي خلف محمّد بن عبدالملك الطبريّ

بسم الله الرحمٰن الرحيم

وبه نستعين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

(١) الحمد لله الذي فتح لأوليائه باب محبّته، وأنشط نفوسهم من عقال القطيعة، فقاموا له بوجود خدمته، وأمدّ عقولهم بنوره فعاينت عجائب قدرته، وحرس قلوبهم من الأغيار ومحا منها ضوء الآثار حتّى ظفرت بمعرفته. كشف لأرواحهم عن كماله ونعوت جلاله، فهم سبايا حضرته. متّع أسرارهم بقربه وأفناهم عنهم، فغرقوا في بحر هويّته. أحمدُه والحمد واجب لصفات جلاله وعظمته، وأشكرُه والشكر مستحقّ له لسبوغ نعمته، وأعلمُ أنّه لا يُحاط بذاته وصفته، ولا يوصل لمعرفته إلّا بالعجز عن معرفته. ليس للعبد منّة إلّا ما مَنّ به عليه، لا يغرب عنه هواجس الخواطر، ولا يخفى عنه ما تكنّه الضمائر. هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ (٥٧ : ٣)، نشهد أن لا إله إلّا هو، وكلّ شيء يشهد بأحديّته في ألوهيّته، ونشهد أنّ سيّدنا محمّدًا عبده ورسوله، المصطفى من خليقته، المشهود له في الغيب بكمال رفعته، القائم لمولاه بكمال عبوديّته، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وذرّيّته، صلاة تدوم بدوام أبديّته، وسلّم تسليمًا.

(٢) أمّا بعد، فهذا كتاب جليل من أفضل ما صُنّف في علم التوحيد، وأجلّ ما اعتمده بالتفهّم والتحفّظ كلُّ سالك ومريد، سمّاه سلوة العارفين وأنس المشتاقين، ذا عبارات رائقة ومعانٍ حسنة فائقة، فيه إيضاح طريق العارفين والموحّدين، وإبانة مناهج السالكين والمتجرّدين والواصلين، مرتّبًا على اثنين وسبعين من الأبواب، محويّةً على

لباب اللباب من كلام أولي الألباب من الأولياء والأحباب المقبلين على ربّ الأرباب والمبتهجين بالملك الوهّاب، نسأله تعالى رفع الحجاب، والدخول في سلكهم إنّه كريم توّاب.